آن ميثو

الإرث الآسر

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

١ـ وصيّ بالاكراه

مشت المضيفة الجميلة في ممشى الطائرة ثم وقفت عند مقعد أحد ركاب الدرجة الاولى وخاطبته مبتسمة:

«سنصل المطار خلال ربع ساعة يا سيد كايل».

كان الرجل مستغرقاً في دراسة كومة أوراق موضوعة امامه، الّا انه رفع رأسه حالما سمع صوتها:

«ماذا؟ آه، نعم، ربع ساعة. شكراً».

وأومأ برأسه ثم عاد الى اوراقه. فغادرت المضيفة الى مكانها عند مؤخرة الطائرة.

نظرت الى زميلتها المضيفة وقالت بأسف:

«بصراحة، لم تخب آمالي بهذا الشكل من قبل».

ابتسمت الفتاة الاخرى متسائلة:

«لماذا؟».

«حسناً، لوجود جارود كايل كمسافر معنا بالطبع. وتوقعت، لسمعته المشهورة، ان يلاحظ وجودي على الاقل».

وضحكت الفتاة الاخرى:

«هل هو جذاب؟».

«انه مقبول الشكل، بل اعتقد انه غير جذاب اطلاقاً. وجهه قاس وانا متأكدة بأن انفه مكسور. انه ضخم، نحيف وله شعر فضي غريب اللون».

«يا له من مسكين!». قالت الفتاة الاخرى مصغية

باستمتاع.

«انك، بلا شك، تحاولين تسفيه الفكرة الشائعة عنه. اي واحد هو؟».

«سأريك اياه، حين يغادرون الطائرة».

ثم عادت لاتمام واجباتها.

ودهش جارود كايل، عند نزوله من الطائرة، لملاحظته ان المضيفتين تحدقان فيه بدقة. فبادلهما النظرات وتساءل:

«هل هناك شيء خطأ؟ هل شخرت في نومي أم ماذا؟».

ابتسمت الفتاتان بحرج وقالت احداهما:

«أرجو ان تكون قد تمتعت برحلتك يا سيد كايل».

أومأ برأسه تحية لهما ثم سار باتجاه أبنية المطار، واذ اختفى عن ناظريهما خاطبت الفتاة الثانية الاولى قائلة:

«هل قلت بانه غير جذاب؟».

اثناء ذلك عومل جارود كايل معاملة شخصية مهمة من قبل رجال الجمارك، فاجتاز قاعة الاستقبال، حاملاً حقيبته بيده واضعاً معطفه على كتفه، حيث وجد جون ماتيوز، مساعده الخاص، في انتظاره.

«اهلا ماتيوز».

«اهلاً، هل تمتعت باجازتك؟».

«جداً... كان الصيد رائعاً وبطريقتي المفضلة».

«هل حصلت على أي شيء؟».

«يعتمد جوابي على معنى سؤالك. كيف صحة الرجل العجوز؟».

«جي كي؟ بخير. هل ستذهب لرؤيته الليلة؟».

نظر جارود الى ساعته قبل ان يجيب:
«اعتقد ذلك. انها الخامسة والنصف الآن، لنذهب لتناول بعض القهوة واخبرني خلال ذلك بما جرى في غيابي».
نظر ماث الى جارود مفكراً ثم قال موافقاً على اقتراحه:
«انها فكرة حسنة».
ودخلا إلى مقهى قريب.
قال ماث بعد جلوسهما بلحظات:
«هناك مفاجأة غير متوقعة لك. هل تريد معرفة ما هي؟».
اشعل جارود سيكارة:
«بالتأكيد. ارجو الا يكون اندماج برادفورد مرة اخرى؟».
«كلا، حيث انتهينا من تلك الصفقة، جي كي اتمها بنفسه. أظن بانه فكر بأهمية استلامه المسؤولية في غيابك. لا اعتقد بانه سيتقاعد تماماً في يوم من الأيام. ما رأيك؟».
أمسك جارود سيكارة بيده وتمعن في النهاية المتوقدة:
«ثم ماذا؟ ما هي المفاجأة؟ لا تحاول اثارة شكوكي يا ماث».
وارتشف ماث بعض القهوة قبل ان يجيب.
«قد تجد الموضوع مسلياً. اذ يبدو وكأنك حصلت على مكافأة. ما لم ينجح محاموك في تخليصك منها وهذا أمر في مستطاعهم اداءه».
حدق جارود في وجهه بفضول:
«مكافأة؟ ما الذي تتحدث عنه؟ اي مكافأة؟ ماذا؟».
«حصلت على وصاية طفلة».
«هل تعني بانني عينت وصياً على طفلة ما؟». وبدا جارود منذهلاً.
«شيء من هذا القبيل».

ارتشف جارود قهوته مرة واحدة وخاطب ماث بتجهم:

«لا اعرف ما الذي تتحدث عنه يا ماث! اخبرني التفاصيل من البداية».

«ان الحكاية بسيطة جداً. اختارك احد العجائز ان تكون وصياً على حفيدته حتى تبلغ سن الحادية والعشرين او الثمانية عشر، لست متأكداً من السن المطلوبة تماماً».

«اي عجوز؟».

«رجل يدعى جفري روبنز، توفي منذ أسبوعين».

«جفري روبنز؟ وهل اعرفه أو ربما الاصح القول هل عرفته من قبل؟».

«كلا، كان رئيساً للعمال في مستودع بريدجستر مدة أربعين عاماً».

ويدا الغضب واضحاً على وجه جارود:

«ماث اني احذرك...».

فضحك ماث مستطرداً:

«تمالك نفسك ولا تلمني. فالحكاية صحيحة ووالدك يعرف تفاصيل الموضوع، ويبدو انه كان على معرفة بجفري».

«واخيراً! ها انا انجح في استخلاص بعض المعلومات. وكيف تعرّف عليه والدي؟».

«اعتقد انهما باشرا العمل سوية في تجارة الانسجة، الآ ان صلتهما انقطعت حين غادر جي كي المكان ليؤسس شركته الخاصة، ثم التقيا ثانية اثناء الحرب الى ان نقل والدك مكتبه الرئيسي في اوائل الخمسينات الى لندن وانقطعت علاقته بجفري حينئذ».

«ما لا استطيع فهمه، هو انه اذا كانت علاقته بوالدي وثيقة

فلم لم يجعله وصياً على حفيدته؟».

«ما حدث هو ان روبنز جعل من رئيس مجلس ادارة انسجة كايل وصياً على حفيدته ولم يعلم بان والدك متقاعد ومنحك المسؤولية وهو لا يزال في سن الثامنة والخمسين».

أطفأ جارود سيكارته بغضب وقال:

«يا الهي. لكن هذا حدث منذ عدة سنوات!».

«نعم، لكن روبنز لم يعلم بذلك. كما لا اعتقد بانه توقع وفاته بهذه السرعة حيث كان لا يزال في الثامنة والستين من عمره».

«حسناً. يا له من مأزق حرج! وماذا عن والدي الطفلة؟ اين هما؟».

«توفيت والدتها اثناء الوضع وكان والدها ضحية هزة ارضية في جنوب اميركا حيث كان يعمل كمندوب لاحدى مؤسسات التامين».

«آه، حسناً لنبدأ رحلتنا الآن وفي مستطاعك اخباري المزيد في طريقنا الى المدينة».

خارج أبنية المطار المدفأة، زاد ضباب شهر كانون الثاني من برودة الامسية. رفع جارود ياقة معطفه وخاطب ماث بمرح قائلاً:

«كان عليَّ البقاء في جامايكا فترة أطول. من يرغب في العودة الى لندن في مثل هذا الوقت من السنة؟».

وسمح ماث لجارود قيادة سيارة المرسيدس الفخمة.

«تعلم جيداً بانك لا تستطيع الابتعاد فترة طويلة عن لندن. انها تجري في عروقك حيث الصفقات المالية، المؤسسات التجارية واجتماعات الرؤساء والمنافسات الدائمة».

هزّ جارود كتفيه بلا مبالاة ويبدأ قيادة السيارة بمهارة:

«انك تجعلني ابدو بمظهر الآلة».

كشّر ماث وحدّق في المصابيح المتألقة خارج المطار:

«انك ابعد ما تكون عن الآلة. بل ان هذا يغضب والدك احياناً».

اطلق جارود ضحكة قصيرة:

«انها الغيرة. لا شيء غير ذلك يا ماث. اذ ليس بمقدور العجوز قبول فكرة العيش بهدوء. واعلم بانه يتمنى لو ولد بعد ثلاثين عاماً من تاريخ ميلاده».

ضحك ماث بدوره:

«آه نعم، في عصر السيارات السريعة، الفتيات الجميلات والمتع الاخرى».

«شيء من هذا القبيل. والآن اخبرني عن الطفلة كيف تبدو؟».

هز ماث رأسه:

«لا ادري، لم أرها بعد. كل ما اعرفه انها ما تزال في المدرسة».

«وما هو رأي والدي؟».

«اظن انه بانتظار عودتك الى البيت لمناقشة الموضوع. اراد ان يرسل في طلب عودتك الاّ انني اقنعته بمدى حاجتك للاجازة».

«شكراً، ذلك ما اثار استغرابي، اذ ليس من عادة جي كي اتخاذ قرار بدوني».

«اظن بأنك ستسمع كافة التفاصيل قريباً. اذ يتوقع منك الذهاب الى ما لثورب هذه الليلة».

«ماذا؟ حسناً، لعله من الافضل له تناسي الموضوع».

«هل تعتقد ان ما تقوم به صحيح؟ خاصة وانك تعرف طبيعته وارتفاع ضغط دمه. . . ».

«حسناً، حسناً». دمدم جارود بنفاد صبر.

«حسناً، ماث، سنذهب الى الشقة اولاً لأترك أمتعتي هناك. يا لها من حياة! ستة اسابيع في جامايكا، وخلال ساعة واحدة من وصولي لندن اشعر وكأنني لم اغادرها ابداً».

تقع مالثورب في مقاطعة يوركشاير، قرية مريحة ولا تبعد كثيراً عن ليدز وبرادفورد حيث مصدر رزق امبراطورية كايل للأنسجة، وحيث اصبحت الشركة مؤسسة عالمية وذات مكتب رئيسي في لندن. اسس والد جارود شركته قبل بداية الحرب العالمية الثانية ولم يخطر في باله مدى النجاح الساحق الذي ستحوز عليه منتوجاته من الاقمشة، السجاد والتصاميم الجميلة.

وصل جارود وماث ضواحي مالثورب في مساء اليوم ذاته. فضل جي كي، دائماً الحياة في الريف وحافظ على بيت العائلة هناك، رغم وفاة غالبية اعضائها.

وبيت العائلة مبني حسب الطراز الجيورجي. واجريت عليه تحسينات كثيرة بمرور الوقت، مما حوله في النهاية الى خليط معماري لا ينتمي لعصر معين

اما في الداخل فقد بذل والد جارود جهده لاقتناء كل ما هو ثمين وفاخر فأثار بذلك اعجاب وحسد الجيران والاصدقاء. وأحاط البيت بسياج عال يمنع عن سكان البيت عيون المتطفلين. وتوقف جارود بسيارته امام البوابة ليتيح للحارس هدلي فرصة رؤيته، قبل اجتيازها.

«ها نحن هنا اخيراً. هل لاحظت ازدياد الحراسة مؤخراً؟».

«يخشى والدك سرقة مقتنياته الثمينة».

قال ماث بينما اوقف جارود السيارة امام باب المنزل.

«وكل قطعة جديدة يشتريها تضاف الى المجموعة».

«وتزيد من خوفه، آه ان الجو بارد فعلاً. هل سقط الثلج بعد ام لا؟».

«كلا، ولا اظن ان الجو بارد الى هذا الحد. انها لم تصل درجة التجمد بعد والاّ لما تمكنت من القيادة بسرعتك تلك».

«اتراهنني؟». تساءل جارود مداعباً.

انحنى كبير الخدم امامهما بأدب وقال رداً على تحية جارود له:

«مساء الخير سيد جارود أرجو ان تكون قد تمتعت باجازة جيدة».

«رائعة، وكيف صحة والدي؟». ثم سار نحو مؤخرة السيارة وسحب حقيبته بسهولة.

تقدم موريس مسرعاً وتناول الحقائب:

«ان والدك بخير يا سيد جارود، وهو في انتظارك في مكتبه. هل تتناول العشاء؟».

«كلا، ليس الليلة. سأراك فيها بعد يا ماث».

أومأ ماث برأسه وتبع موريس الى الطابق الاول، بينما سار جارود عبر الصالة ليدخل غرفة واقعة في النهاية البعيدة.

كانت الصالة مضاءة بشكل جميل، وفرشت الارضية بسجادة ذات لونين ازرق وذهبي. اما غرفة المكتب فارضيتها مفروشة بسجادة ذات لون اخضر وجدرانها مبطنة بأكملها تقريباً، بالكتب المجلدة الفاخرة، كتب يعلم جارود ان والده لم

يقرأ اياً منها. اذ لم يكن والده محباً للقراءة بل كان رجلاً عملياً فضل دائماً انجاز اعماله بيديه، الى ان أصيب فجأة بنوبته القلبية الاولى منذ عدة سنوات واقتنع حينئذ ان مواصلته العمل بطريقته المتعبة سيقوده الى الموت خلال اقل من عام، لذلك سلم رئاسة مجلس ادارة شركات كايل الى ابنه جارود مع محافظته على دور المشرف الفعال في كافة النشاطات. الاّ انه نسي خلال اتخاذه لقراره ذلك ان لجارود مخططاته الخاصة وانه حالما استلم المسؤولية رغب بان يكون المدير الفعلي بدون اللجوء الى استشارة والده الاّ نادراً. رغم ذلك احس جي كي بالاعجاب لتصميم ابنه وفكر بانه كان سيفعل الشيء ذاته لو كان في مكانه.

كان جي كي جالساً على كرسيه المفضل قرب النار، ورغم ان المنزل كلّه مزوّد بالتدفئة المركزية، الاّ انه احتفظ بالموقد القديم في تلك الغرفة.

ابتسم بحرارة عند دخول جارود الغرفة وقال:

«اهلاً، اجلس هناك.. هل الجو بارد في الخارج؟».

«ليس تبعاً لما قاله ماث، ولكنني اقول بانه بارد جداً».

ضحك جي كي وقال:

«ان جو البحر الكاريبي افسدك. لا اعرف كيف تستطيع تحمل الحرارة، اما بالنسبة لي فاعطني ليلة خريفية وموقداً حقيقياً وسأكون ممتناً جداً».

«انك متقدم في السن يا جي كي». وضحك جارود اذ رأى انكماش والده نتيجة الملاحظة، فتابع بسرعة:

«لنحاول الاّ نضيّع الوقت في مسائل سخيفة. ما فحوى ما سمعته عن اختياري كوصي على طفلة ما؟».

«نعم، سارة روبنز، حفيدة جفري».
«لكنها مسألة لا تصدق! ولم اختارك وصياً على حفيدته».
«لم يخترني انا، بل اختارك انت: جارود كايل مدير شركات كايل».

«انه ادعاء رسمي فقط، فانت تعلم جيداً ان الوصي المختار هو انت ولا علاقة لي بالموضوع. على كل انت لم توضح الأمر بعد».

هزّ جي كي كتفيه العريضتين استهانة. كان هناك شبه كبير بين الوالد وابنه:

الشعر الكث رغم ان تقدم جي كي في العمر أحال لون شعره الى الرمادي مما زاد في عمق ملامحه.

«حين كنت شاباً، كنت وجفري اصدقاء مقربين. وحين توفت ابنته وزوجها بعد ذلك، احس بالاضطراب والقلق لمصير الطفلة وخاصة بعد وفاة زوجته خلال فترة الحرب، مما دفعه الى التفكير بمصير الطفلة، اذا ما أصابه مكروه».

«ولكن لم اختارك بالذات؟ ألأنك غني؟».

«لو كنت تعرف جفري روبنز، لما قلت هذا. كان رجلاً شريفاً وذا كبرياء ولو أراد المال لاستطاع الحصول عليه بسهولة، اذ أتيح له العديد من الفرص للاغتناء لكنه رفض ذلك. كلا، اظن ان اختياره جاء نتيجة ليأسه. لا اعتقد بانه كان يعرف حالة قلبه، أو على الاقل لم يبلّغ احداً بالأمر. وأظن انه امل بالعيش لحين بلوغ سارة سناً معينة تؤهلها للزواج والاستقرار.

الاّ ان ذلك لم يحدث» وتنهد جي كي بعد لفظه الجملة الاخيرة.

«وماذا عن الطفلة؟ هل التقيت بها بعد وفاة جدها؟».

«لم أرها ابداً». واسترخى في كرسيه في وضع مريح «أردت الذهاب الى بريدجستر في الاسبوع الماضي، الاّ انني قررت الانتظار و. . .».

«وتترك لي اداء المهمة. . يا لك من ماهر!».

كشر والده وقال:

«حسناً جارود، اصررت دائماً على القيام بكافة واجباتي، لذلك لم ارغب هذه المرة بالتدخل في شؤونك الخاصة».

«حسناً، حسناً. . . ما الذي ستفعله الآن؟ بشكل جاد رجاء؟».

قطب والده جبينه:

«حسناً، اعتقد انه من السهل الطعن بالوصية. وليس من الصعب اثبات ان المعني بالامر هو أنا وليس انت ثم انهاء مسؤوليتي قانونياً لأنني متقاعد. ثم ان الاختيار تمّ بدون الحصول على موافقة الوصي المقترح وهذه نقطة مهمة».

«يا له من مأزق! وما الذي سيحدث للطفلة اذا ما تخلينا عنها؟».

«اظن بانها ستوضع في ميتم او شيء من هذا القبيل. ما لم نقم بتزويدها بالمال الكافي لانهاء دراستها».

«اين هي الآن؟».

«مع احدى الجارات، ولكن بما ان للجارة سبعة اطفال فقد اخبرت المحامي بانها لا تستطيع ابقاءها معها فترة طويلة».

«يا لها من طفلة مسكينة. أظن انك تتوقّع مني زيارتها؟».

«على احدنا الذهاب لرؤيتها على الأقل».

«ثم ماذا بعد ذلك؟». وفك جارود زر قميصه العلوي وتنهد بارتياح مضيفاً «ان الحل الافضل هو التكفل بنفقاتها، أليس

كذلك؟».

«ارغب برؤية حفيدة جفري يا جارود وارجو ان تجلبها معك لزيارتي».

رفع جارود حاجبيه استغراباً:

«هل انت جاد؟».

«لم لا؟».

«أعني ان تجلب الطفلة الى هذا المكان ثم تعيدها ثانية الى مكانها! ألا تعتقد بان هذا سيدفعها الى تجاوز قناعتها؟».

«كلا لا اظن حفيدة جفري ستفعل ذلك. اذ لا بد بأنه رباها بطريقة تجعلها واثقة من نفسها».

«كم هو عمرها الآن؟».

«لا ادري بالضبط، ربما في الخامسة عشر».

«الخامسة عشر؟ الا تعلم بان فتاة بهذه السن هي شخص بالغ؟».

«كيف تعرف ذلك يا جارود؟ أو ربما تغير ذوقك النسائي مؤخراً؟».

رمى جارود بقية سيكارته في النار ثم قال بغضب:

«لو ان شخصاً آخر تلفظ ما قلته الآن...».

«اعرف، اعرف» ونهض والده واقفاً «ربما كنت محقاً، ربما لم تعد طفلة. اذا كان الامر كذلك فستكون مهمتنا اسهل... جارود اردت دائماً ان تكون لي ابنة، آه اعرف بأنني اردت ابناً في البداية، ولكن بعد ذلك...». ثم تنهد.

سار جارود متوجهاً نحو الباب وعلّق بسخرية:

«ايها الاخ، انني متعب وسأذهب للنوم. فكر بالامر واخبرني بقرارك في الصباح».

عض والده شفته وبدا عليه الانزعاج.

«حسناً، جارود لقد وضحت رأيك. يا لك من قاس».

نظر جارود الى والده وأسف لما قاله الاّ انه لم يستطع الاّ ان يقول:

«انني حصيلة ما صنعته يداك، صورة لك».

عادت سارة روبنز من المدرسة مع برايان ماسون، اكبر ابناء السيدة ماسون، جارة جدها منذ اكثر من خمسة عشر عاماً. وبقيت سارة معهم منذ وفاة جدها. ورغم ان الفترة لم تتجاوز الاسبوعين، الا انها احست وكأن سنوات طويلة مرت بانتظار تقرير مصيرها.

صدمت سارة حين علمت بوصية جدها وقراره باختيار غريب وصياً عليها. لو انها علمت من قبل، بسوء صحة جدها لفكرت بترك المدرسة والبحث عن عمل ملائم لها. الاّ انه كان بصحة جيدة وقوياً ولم يشك في شيء. ولم تعلم سارة عن مرضه الاّ بعد وفاته.

كانت السيدة ماسون وزوجها الضئيل خاصة اذا ما قورن بضخامة زوجته، عطوفين عليها، الاّ ان سارة لم ترغب بالبقاء معهما الى الابد.

اذ كان المكان صغيراً، وكان سرير سارة في غرفة الجلوس. وعرض بيع بيت جدها، الاّ انه من المستبعد الحصول على سعر مقبول عند بيعه. وتم وضع الاثاث الصالح للبيع في غرفة واحدة، بينما فرغت بقية الغرف من محتوياتها.

كانت هناك سيارة مرسيدس ضخمة امام بيت عائلة ماسون، ذلك المساء وقال برايان:

«آه، انها مرسيدس! لا بد أنها تعود الى احد رجال السيد

كايل، جاء بحثاً عنك!».

هزت سارة رأسها وأحست بجفاف حلقها. اذ انها حاولت ومنذ ان اخبرها المحامي بالوصية، نسيان قصة الوصي عليها، والآن وقد رأت السيارة الفاخرة امام باب البيت انتابها الرعب من جديد.

نظر اليها برايان بغرابة:

«ماذا حدث؟ انك شاحبة تماماً! ليس هناك ما يستدعي الخوف يا سارة.

اتمنى لو كنت في مكانك ليرعاني رجل بمثل هذا الغنى..».

نظرت اليه سارة باحتقار وقالت:

«المال؟ هل هذا هو كل ما تفكر به؟ احس الآن بأنني بضاعة معروضة للبيع...!».

ضحك برايان وعلق:

«حسناً، لا يبدو عليك ذلك. من الأفضل الّا تفكري بشيء قبل لقائه. اذ قد يصبح متيماً بك!».

«هل تعني بانه عجوز؟».

«وهل هو عجوز؟

نعم، لا بد ان يكون عجوزاً، اذ انه كان صديقاً لجدك».

«نعم، حسناً.. لندخل الآن ولنلتق به».

دخلا الممر الضيق لبيت ماسون وسمعا اصواتاً مختلطة تنبعث من غرفة الجلوس، فنظرت سارة الى برايان بترقب.

بادلها برايان النظرات ثم فتحت السيدة ماسون باب غرفة الجلوس ثم اغلقته بهدوء.

«جاء السيد كايل لرؤيتك، او هذا ما يقوله على الاقل، اذ انه اصغر سناً مما توقعت ولم ارغب، بالطبع، في طرح الاسئلة

عليه».

احتفظت سارة برأيها لنفسها. كانت السيدة ماسون امرأة تحب طرح الاسئلة وكان لتعليقها معنى واحد وهو ان السيد كايل رفض الاجابة على اسئلتها. واضافت السيدة ماسون: «انه في انتظار رؤيتك..». واذ لم تعلّق سارة بشيء واصلت السيدة ماسون «سأصحبك اذا ما رغبت بذلك..».

«كلا، شكراً». اجابت سارة باستياء.

تصلبت السيدة ماسون وطوت ذراعيها على صدرها:

«آه، نعم، بالطبع... اذا كان هذا ما تريدين يا سارة».

«من الافضل ان ادخل لوحدي يا سيدة ماسون».

«حسناً جداً. تعال معي يا برايان». وتوجها الى المطبخ. بينما تنهدت سارة وحاولت استجماع شجاعتها ثم فتحت باب غرفة الجلوس ودخلت.

لدى دخولها. نهض الرجل واقفاً. كان طويل القامة ونحيفاً ولون شعره اشقر كما بدت على وجهه السمرة اوحت لها بانه قضى عطلته في مكان مشمس. وكانت لعينيه زرقة لم تر مثلها من قبل. لم يكن وسيماً، فكرت سارة بعصبية، الاّ انه لم يكن ايضاً في عمر جدها.

واذ دهشت لمرآه، كانت دهشة الرجل اكبر لمظهرها:

«هل انت سارة روبنز؟». سأل متعجباً.

«نعم يا سيد كايل. انا سارة روبنز».

«كم تبلغين من العمر؟».

«سبعة عشر عاماً».

«سبعة عشر؟». وسحب علبة سكائره ثم طلب منها السماح بالتدخين فأومأت برأسها موافقة:

«ظن والدي انك في الخامسة عشر ولكن ها انت. . .» وتوقف للحظة ثم واصل.

«هل تنوين ترك المدرسة قريباً؟».

«استطيع ترك المدرسة في اي وقت اشاء» اجابت سارة بحذر متأملة اظافرها لتتحاشى النظر اليه «حين كان جدي حياً. . اردت ان اواصل دراستي الثانوية ولكنني الآن. . .».

«حسناً سارة روبنز، هل لديك اسئلة ترغبين بسؤالي اياها؟».

«انك اصغر سناً مما توقعت».

«ربما، اذ ارتكب جدك خطأً صغيراً في وصيته. اذ وضع مستقبلك بين يدي رئيس ادارة شركات كايل متوقعاً بقاء والدي في منصبه».

«والدك؟ هل تعني بان والدك كان على معرفة بجدي؟».

«صحيح. لسوء الحظ، تقاعد والدي منذ عدة سنوات بسبب سوء صحته. وأنا الآن مدير مجلس ادارة الشركات واحمل الاسم ذاته، جارود كايل».

«ذلك يوضح الامر كله» وبدا على سارة الارتياح.

«نعم بالنسبة اليك على الأقل» وتأملها مفكراً، وبطريقة دفعت سارة للاحساس بالحرج. انه موقف لم يتوقعه جدها اطلاقاً، حين اضاف ذلك المقطع الاخير الى الوصية.

«اخبريني. . هل لديك اقارب؟».

«كلا» واحتقن وجهها احمراراً وشغلت نفسها بدفع خصلات شعرها الاحمر الطويل عن وجهها.

«وماذا كنت ستفعلين لو ان جدك لم يضف ذلك المقطع الأخير الى وصيته؟».

وازداد احساسها بالحرج، وادراكها لسخريته المرة رغم عدم تغير ملامح وجهه.

«كنت سأترك المدرسة فوراً وابدأ البحث عن عمل ما».

«مثل ماذا؟».

«لا ادري- في مكتب ما او ربما سأدرس التمريض اذا شعرت بالرغبة في دراسة التمريض».

ويدا عليه الضجر بعد نفاد اسئلته.

استدار جانباً وتمشى ثم وقف قرب النافذة:

«الآن ان المقطع اضيف، ارتد معطفك ولنغادر المكان».

«نغادر؟». واتسعت عينا سارة الخضراوان دهشة.

«مؤقتاً فقط، اذ يرغب والدي برؤيتك. اما بعد ذلك فسنبحث الموضوع فيما بعد».

ارادت سارة ان تجادله. ارادت القول انها لا تعرف شيئاً عنه وانها لا تريد مغادرة المكان المألوف لديها الى مصير مجهول، الآ انها لم تكن في مركز كايل كان ينظرها رجلاً اكبر منها سناً بكثير، لذلك تخلت عن رغباتها واومأت موافقة وتوجهت الى المطبخ لتوضح للسيدة ماسون ما حدث.

كانت سيارة المرسيدس البيضاء مريحة جداً حتى بعد ان غادر جارود بريدجستر وبدأ القيادة بسرعة اكبر. وانتابها طوال الوقت احساس المستغرق في حلم جميل لا بديل له في الواقع.

ارتدى جارود كايل بدلة سوداء ومعطفاً له ياقة عريضة من الفرو، ورغم عدم خبرتها ومعرفة الاسعار، ايقنت ان ملابسه الفاخرة ثمينة جداً. وبدا معطفها الازرق رخيصاً جداً وخالياً من الذوق في حضوره، وتصورت باكتئاب ما سيحدث عند التقائها بوالده. كان الابن ممثلاً لسلطة الاثنين وبدا عليه

الامتعاض لسبب ما، وخمنت بان يكون وجودها سبب ذلك.
تنهدت ونظرت الى الجهة الاخرى.
«اخبريني، هل قضيت بعض الوقت خارج بريدجستر؟».
قطبت سارة جبينها وفكرت قبل ان تجيب:
«اثناء العطل فقط زرت بلاكبول مرتين ولندن ثم هاستينغ».
«الم تسافري خارج بريطانيا؟».
«كلا، اظن انك سافرت كثيراً.. اليس كذلك؟».
«نعم..». اجاب ببرود دفع سارة للاحساس بغباء سؤالها.
«ما هي اهتماماتك اذن؟ ما الذي تفعلينه في وقت فراغك؟».
«احب القراءة وسماع الموسيقى واعتدت الذهاب مع جدي، الى المسرح في ليدز او لمشاهدة فيلم في السينما».
«ما هي مادتك المفضلة في المدرسة؟».
«هل تعني مادتي المفضلة او التي اجيدها؟».
وبدا عليه الاستمتاع:
«هل هناك فرق؟».
«نعم، ان مادتي المفضلة هي الادب الانكليزي لكنني أجيد الرسم».
«الرسم؟» سأل جارود متعجباً «أتحبين الفن؟».
«نعم واجتزت الامتحان بتفوق لكن مدرّسة الفن، الآنسة فنش، مثيرة للضجر، اعني انها... وبدا عليها التردد لاختيار الكلمة الملائمة. في أي حال، لا احد يحبها لذلك لا اجدني اهتم كثيراً بالفن».

استدار جارود بالسيارة الى شارع جانبي يؤدي الى مالثروب، وانتبهت سارة الى جمال اصابعه الممسكة بمقود السيارة بمرونة. اصابع طويلة وقاسية، ويدان قويتان.

كان الوقت مساء حين وصلا الى البوابة الخارجية ووجدا هدلي في مكانه المعتاد. نظرت اليه سارة وارتجفت لمرآه.

قال جارود اذ احس بعصبيتها:

«لا داعي للخوف. انها عملية روتينية اذ ان لوالدي مجموعة من المقتنيات الثمينة ويرغب بحمايتها».

عضت سارة شفتيها وانتبهت لفخامة المكان غير المألوفة بالنسبة اليها رغم انشغالها بالتفكير في لقائها المقبل مع الأب.

وعند اقتراب السيارة من باب المنزل، فتح موريس الباب بسرعة.

«انه رئيس الخدم موريس، انا مقتنع بأنه وضع راداراً في المطبخ يستطيع بواسطته معرفة اقتراب السيارة من الباب».

لم تستطع سارة مقاومة رغبتها بالضحك، ورغم أن جارود لم يقل شيئاً يساعدها على تخفيف ارتباكها الّا ان سلوكه بدا أفضل، ربما لأنه كان على وشك التخلص من مسؤوليتها. واذ غادر جارود السيارة، غادرتها سارة أيضاً بدون انتظار مساعدة أحد، ووقفت محدقة في مظهر موريس الواقف عند الباب.

«مساء الخير سيد جارود. ان والدك في انتظارك في صالة الاستقبال».

«شكراً موريس» وصعد جارود الدرجات بسرعة ثم التفت فرأى سارة ما تزال واقفة في مكانها:

«تحركي يا سارة روبنز. انا متأكد بأنك لست خائفة».

تصلبت سارة وتسلقت الدرجات ايضاً:

«كلا يا سيد كايل، لست خائفة». فابتسم جارود بسخرية.
«ألست خائفة؟ لا بد أنك فريدة اذن، اذ ظننت ان ظروفاً كهذه تمثل عبئاً ثقيلا على طفلة مثلك».

تبعت سارة جارود الى الصالة الفخمة ونظرت حولها باعجاب ثم ركزت اهتمامها على جارود الذي وقف ليراقبها بسخرية واضحة:

«اعتاد جدي القول ان الاحمق يخاف، اذ يتساوى الشجاع والجبان عند الموت».

احنى جارود رأسه تحية لتعليقاتها «اعتقد ان لجدك سلوك الحكيم.

أليس اختياره اغنى رجلا موجوداً كوصي على حفيدته افضل دليل على ذلك؟».

نظرت اليه سارة بدهشة:

«ما الذي تعنيه يا سيد كايل؟».

«ان ابني شخص متهكم».

قال صوت من ورائها:

«سمعت بوصولك يا عزيزتي. مرحباً بك في مالثروب».

٢ـ أقبل بك سنة فقط!

استدارت سارة لتواجه نسخة متقدمة في السن لجارود كايل، باستثناء الاختلاف في لون الشعر والتجاعيد في وجه الأب. ابتسم لها بحرارة وبدا مختلفاً عن الابن في سلوكه وعن الصورة التي رسمتها في ذهنها عنه.

«أنت، انت السيد كايل؟ سيد كايل صديق جدي؟».

«صحيح». ثم استدار نحو رئيس الخدم «اغلق الباب يا موريس، وخذ معطف الآنسة روبنز. تعالي يا عزيزتي وتناولي الشاي معي في الصالة».

ثم نظر باتجاه ابنه متسائلا «هل ترغب بتناول الشاي معنا يا جارود؟».

خلع جارود معطفه بحركات كسولة بطيئة فاحست سارة باضطراب غريب يسري في جسدها. لم تفهم طبيعة ذلك لأنها لم تشعر به من قبل، الآّ انها ادركت ان الاحساس الغريب يتملكها في حضور جارود فقط. من الواضح انها لم تلتق برجل مثله من قبل الآّ ان الامر يتعدى ذلك.

واحست بالحاجة الى هز رأسها لابعاد تلك الافكار عنها.

هز رأسه نفياً جواباً على سؤال والده «كلا لا اعتقد أنّي اريد ذلك».

«اتصلت لورين بك مساء وتريد منك الاتصال بها».

«صحيح، وماذا قلت لها؟».

«اخبرتها انك مشغول حالياً». وكانت لهجته ساخرة فأحست سارة بالتوتر الكامن بين الاثنين.

استدار جارود وبدأ صعود السلم بدون الالتفات وراءه وابتسم والده قبل ان يمسك ذراع سارة ليقودها الى الصالة.

استرعى الديكور الرائع اهتمام سارة، السجادة، الكراسي ذات اللون الاسود والخشب المحيط بزوايا الصالة. وانتبهت الى جهاز التلفزيون المزود بمسجل كبير، ثم هناك النقوش المزينة للسقف. وكأن المشهد كله مأخوذ من فيلم.

«هل تحبين المكان؟». وبدا عليه السرور لاعجابها.

«انه رائع، لم اكن اعلم بوجود مثل هذه الاماكن في يوركشاير».

ضحك وقال:

«آه يا سارة، يا لها من ملاحظة شابة منتبهة، وعليك ان تدعيني جي كي لتفرقي على الأقل بيني وبين ابني».

لم تعرف سارة كيف تجيب لذلك اكتفت بالابتسام، وقرع جي كي الجرس طلباً للخادمة.

«اجلسي يا سارة، اريد ان اعرف كل شيء عنك وعن جدك».

جلست على الكنبة كما طلب منها، متحاشية دعك تنورتها المدرسية.

وتساءلت في داخلها عما سيقوله الخدم عنها، اذ انها لا تشبه اياً من زوار مالثورب. كان المكان دافئاً وفكرت بان المرء لا يحتاج ارتداء ملابس سميكة في هذا المكان.

جلبت الخادمة صينية الشاي ووضعتها على المنضدة المنخفضة قرب سارة وبعد ان ذهبت جلس جي كي مقابل سارة وقال:

«هل تستطيعين صبّ الشاي».

كانت أكواب الشاي صغيرة وجميلة الآ ان سارة استطاعت اتمام مهمتها بنجاح بدون ان تسكب الشاي واضافت الحليب على شايها والحليب والسكر على شاي جي كي. كانت هناك فطائر ساخنة مغطاة بالمربى والقشدة الآ انها لم تأكل غير القليل اذ لم يفارقها الاحساس بالعصبية.

نظر جي كي الى علبة السكائر الذهبية وسألها:

«هل سمح لك جدك بالتدخين؟».

«كلا، كما انني لا احب التدخين».

«حسن جداً انها عادة سيئة لدى المرأة. مع ذلك قد تمنح الانسان شيئاً يتسلى به اثناء المقابلات وغيرها. والآن اخبريني، عن نفسك، مدرستك، خططك وكيف كنت تقضين وقتك مع جفري؟».

كان من السهل والمريح التحدث اليه وكان اقل اثارة للخوف من ابنه، فتلاشى احساسها العصبي لحرارة اهتمامه واخبرته كل شيء حتى عائلة ماسون، واصفة تفاصيل حياتها بدقة استرعت اهتمام جي كي. الى حد نسي مرور الوقت الى ان دخل موريس الصالة مقاطعاً اياهما:

«هل ستبقى الآنسة للعشاء؟» سأل موريس بادب.

«بما ان الساعة الآن هي السابعة فاظن ان اقتراحك هو الانسب، اليس كذلك؟». واومأ برأسه باتجاه سارة.

«ولكنني لا ارتدي الملابس الملائمة للعشاء». دمدمت سارة وخشيت حضور جارود ونظراته المتفحصة لملابسها.

«ليس لذلك اي اهمية يا عزيزتي. لن اغير ملابسي انا الآخر ولا اظن جارود سيبقى للعشاء معنا، اليس كذلك يا موريس؟».

«غادر السيد جارود المكان منذ نصف ساعة. وطلب مني اخبارك بانه سيتأخر».

ابتسم جي كي بسخرية:

«صحيح؟ يا له من سلوك مؤدب! حسناً يا موريس. العشاء لاثنين».

«نعم سيدي». وانسحب موريس بهدوء.

واسترخت سارة في مكانها واحست بالراحة لعدم حضور جارود العشاء معها.

ثم قطبت جبينها فجأة، اذا كان جارود قد غادر المكان فكيف ستعود الى البيت.

«سيد... جي كي».

«نعم؟».

«اذا كان ابنك قد غادر المكان كيف استطيع العودة الى البيت؟ اعني هل هناك باص او محطة قطار قريبة؟».

هز جي كي رأسه وقال: «سيأخذك بوتر الى البيت».

«بوتر؟».

«سائقي الخصوصي».

وسألت سارة نفسها عن جارود كايل، لا بد انه ذهب لزيارة احد اصدقائه، ثم تساءلت عما اذا كان متزوجاً، ثم أين زوجةجي كي ؟

«هل ان زوجتك...؟». وتوقفت لاحساسها بانها بدأت التدخل في شؤون لا تعنيها، فقال:

«استمري، ما الذي اردت السؤال عنه؟ اذ سألتك الكثير حتى الآن، ويحق لك الآن طرح بعض الاسئلة. لا تقلقي».

«اردت سؤالك عن مكان زوجتك؟».

«تعيش زوجتي في جامايكا». قال بهدوء.

«آه!». وبدت الدهشة واضحة على وجهها، فابتسم قائلاً:

«هل تظنين ان وضعنا غريب؟ عبري عن رأيك بصراحة».

«وهل تعيش انت هنا؟».

«نعم، معظم الوقت».

«اذن نعم، اظن ان وضعكما غريب. هل انتما مطلقان؟».

«كلا، منفصلان فقط. هيلين لا تشبهني اذ انها تحب الحياة الاجتماعية. كما تحب المناخ الحار. اصيبت منذ فترة طويلة باحتقان الرئتين، ونصحها الاطباء بعدم البقاء في انكلترا اثناء الشتاء، لذلك انتقلت للعيش في جامايكا».

«وتركتك لوحدك؟».

«حسناً، اكتشفنا وبعد قضاء سنوات طويلة معاً بأننا مختلفان وحياتنا منفصلة لذلك كان من الطبيعي ان تفضل العيش بعيداً ولوحدها».

«يا له من امر فظيع». وتنهدت سارة مضيفة «أنا آسفة».

«لم تأسفين؟ ان هيلين سعيدة وانا كذلك. لسنا اعداء وجاء انفصالنا بناء على رضانا معاً منذ كان جارود في الثامنة من عمره. هيلين تنتمي لعائلة غنية من يوركشاير واعتقد بانها احبتني في البداية، رغم انني لم اكن متأكداً من ذلك. في اي حال ابدت ما يكفي من الاهتمام للزواج مني وبهذه الطريقة زودتني بما يكفي من المال لتوسيع شركتي».

ودهشت سارة لحديثه مما دفعها للسؤال:

«أتعني، أتعني انك تزوجتها من أجل ثروتها؟».

«انك تجعلين المسألة تبدو وكأنها حسابية باردة. ان الشباب وحدهم قادرون على كشف الحياة لضوء النهار البارد. اما ما أقوله انا فهو ان زواجنا تمّ بناء على اتفاق متبادل، حيث دفعت لهيلين فيما بعد كل فلس اقترضته منها، لذلك لا اجدني اشمئز لتصرفي، هل تشعرين بذلك نحوي؟».

«أوه، حقاً. لا علاقة لي بالأمر، اعني، انني لا اعرف حقائق الكثير من الاشياء، كما انني لست قاضية».

«كلا، ربما لست كذلك. الاّ انك تجعلينني ارى نفسي كما يراني الآخرون. لا بد ان جارود سيسر لسماعك وانت تخبريني عن حقائق الحياة الأساسية. واعتقد ان بامكانه هو الآخر ان يكون قاسياً احياناً».

وفكرت سارة متذكرة سخرية جارود منها وكلماته المبطنة، بان ما قاله جي كي معقول جداً.

مرت الامسية بسرعة الى حد ان سارة لم تصدق اذنيها حين اخبرها جي كي عن حلول وقت عودتها الى البيت، وانتابها احساس بالاسف لانها ستغادر المكان.

الاّ ان جي كي اثار استغرابها حين قال:

«هل ستأتين مرة اخرى، يوم الثلاثاء؟ لا استطيع دعوتك غداً. اذ ان جارود دعى بعض العاملين في الوزارة وستكون الامسية مملة».

ارتدت سارة معطفها:

«نعم سآتي اذا ما اردت ذلك».

«جيد، جيد. رؤيتك اذن بعد غد، الى اللقاء».

«الى اللقاء جي كي». اجابته وتبعت موريس الى سيارة الرولس رويس الموجودة عند اسفل السلم.

كانت السيدة ماسون متشوقة لسماع ما حدث عند عودة سارة الى البيت في شارع ميد.

«ما الذي سيحدث لك؟ هل ستعيشين مع السيد كايل وزوجته؟».

وبحثت سارة عبثاً عن كلمات تطفىء بها فضول السيدة ماسون خاصة وانها تعلم بان ما ستقوله للسيدة ماسون سيتردد بين سكان

بريدجستر خلال ايام قليلة.

«لم يتقرر شيء يا سيدة ماسون. كل ما حدث هو انني تعشيت مع السيد كايل الأب. والذي كان يعرفه جدي. اما الرجل الذي جاء هنا فهو الأبن».

«هل اخبرته بانك لا تستطيعين البقاء معنا فترة طويلة؟».

«لا اعتقد اننا تحدثنا عن ذلك اطلاقاً يا سيدة ماسون».

«ما الذي تحدثتما به اذن؟».

«قضينا معظم الوقت متحدثين عن جدي» وتمنّت سارةانتهاء فترة الاستجواب وفكرت بانه كان عليها اعداد الاجوبة في طريق العودة الى هنا.

«هل تمانعين اذا ذهبت الى سريري الآن؟».

«لا مانع لدي. ومتى ستعرفين ما الذي سيحدث؟».

«سأتناول العشاء مع السيد كايل يوم الثلاثاء، وقد استطيع تحديد ما الذي سيحدث حينئذ».

«ماذا تعنين بذلك؟».

نظرت سارة بيأس.

«بصراحة، لا ادري يا سيدة ماسون. اذ حدث كل شيء بسرعة ولا اجدني قادرة على التفكير بوضوح الآن. قد اذهب لرؤ ية رئيسة الممرضات في المستشفى لسؤالها عما اذا كانت ستقبلني كمتدربة».

«ان ابنتي ليلى وانا حاولنا ذلك قبل وفشلنا».

رأرادت سارة ان تقول بأن ليلى البالغة من العمر الثامنة عشرة لا تحب اي شيء له علاقة بالعمل فلا عجب في انها فشلت في ذلك، الا انها كبحت رغبتها في الافصاح عن ذلك وتوجهت الى الطابق الاول لتغتسل منهية بذلك الحديث.

وصل بوتر مساء الثلاثاء، في سيارة الرولز ليأخذها الى مالثورب

فقالت السيدة ماسون بعد محافظتها على الصمت طوال اليومين الأخيرين:

«اظن بانك ستنظرين الى نفسك باعتبارك افضل منا، من الآن فصاعداً يا آنسة روبنز؟».

حدقت سارة في وجهها بدهشة:

«لم افعل ذلك يا سيدة ماسون؟».

وبدا على السيدة ماسون الندم لفلتة لسانها:

«اوه لا شيء. لا شيء. اذهبي الآن ولا تتأخري في العودة».

احست سارة بالضياع والوحدة في مقعد السيارة الخلفي. وحتى تلهفها لتناول العشاء في مالثورب لم يخلصها من احساسها الحزين. ها هي الآن في منتصف الطريق بين الحياة السابقة والجديدة، تزعجها السيدة ماسون من ناحية بينما يشعر رجل عجوز عرف جدها ذات مرة بالأسف من اجلها.

كانت البوابة الخارجية مفتوحة لدى وصولها. لم ينطق بوتر بكلمة واحدة طوال الطريق وحرص على اغلاق الحاجز الزجاجي بينهما. ولم تلمه لذلك، ربما لم يكن مألوفاً لديه الحديث مع من يقلهم بالسيارة. الا انها كانت سترحب بأي شيء يساعدها على تجاوز قنوطها.

صعدت السلم بعد ان فتح موريس الباب، سامحاً للضوء الدافىء بالتسلل الى الخارج. دخلت البيت بسرعة فقال موريس:

«مساء الخير يا آنسة. هل الجو بارد في الخارج؟».

استرخت سارة قليلاً وخلعت معطفها:

«انها باردة جداً. واعتقد انها ستثلج قريباً».

ابتسم موريس بطريقة ودية، ثم جاء جي كي من احدى الغرف:

«آه سارة، ها انت هنا. تعالي بسرعة. موريس اجلب لنا الشاي».

«نعم سيدي» وابتعد موريس بسرعة، بينما تبعت سارة جي كي الى غرفة مبطنة بالكتب. كان هناك رجل آخر يجلس قرب النار وتعرفت عليه بسرعة، انه المحامي الذي بلّغها وصية جدها، السيد غرانت:

«اهلاً سارة» قال مبتسماً «انك تبدين بخير كيف حالك؟».

«بخير شكراً». وسألت جي كي «هل قاطعت شيئاً».

اغلق جي كي الباب:

«كلا اطلاقاً، اذ ان جو موجود هنا من أجلك. اذ كنا نناقش ظروفك الخاصة. سارة، اكتشفت اثناء تبادلنا الحديث في المرة السابقة، ان هناك الكثير مما يجمع بيننا، او على الأقل اننا نملك احساساً مماثلاً بالدعابة». وابتسم مضيفاً:

«انني أودك يا سارة واحتجت بعض الوقت لأقرر ما سأفعله، حسناً، لقد اتخذت قراراً، واذا وافقت، ليس هناك ما يحول دون تحقيقه».

ارتجفت سارا رغم حرارة الغرفة ثم جلست على كرسي منخفض:

«ما الذي تتحدث عنه يا جي كي؟».

«انت ومستقبلك. هل قررت شيئاً ما بصدده؟».

«اتصلت هاتفياً برئيسة الممرضات في المستشفى العام يوم أمس، وحددت لي موعداً لرؤ يتها عند نهاية الاسبوع. وأمل ان توافق على تعييني كمتدربة».

«هل هذا ما تريدينه حقاً؟».

«ابديت دائماً بعض الاهتمام بالتمريض». واحمر وجهها عند اجابتها السؤال.

«واذا افترضنا ان جدك ما زال على قيد الحياة، ما الذي كنت

ستفعلينه حينئذ؟».

«كنت سأبقى في المدرسة عاماً آخر ولقدمت الامتحانات النهائية».

«والآن لنفترض انك تملكين الخيار فما الذي كنت ستفعلينه بصراحة؟».

«آه، العديد من الاشياء. اعني انني احب الأدب الانكليزي والمطالعة، كما احب الرسم. كنت سأسافر كثيراً وارسم كثيراً». ورفعت كتفيها دلالة اليأس وكررت «العديد من الاشياء».

بدا على وجه جي كي السرور ونظر الى غرانت:

«كما توقعت. انك شابة عاقلة. حسناً يا سارة. اذا ما وافقت فباستطاعتك العيش معي في مالثورب مدة عام واحد. اقول عاماً واحداً لأن شبان هذه الأيام يودون الاستقلال بحياتهم بأسرع وقت ممكن ولا اريد منك الاحساس بانك مدينة لي بأي شيء انني اعرض عليك هذا لانني اريده، بقدر ما هو من اجلك».

«آه لكن...».

«بلا اعتراض. اصغي فقط. مهما كان مخططك للمستقبل، في استطاعة ذلك الانتظار فترة عام. خلال هذا في مستطاعك عمل اي شيء ترغبين فيه، وان تتمتعي بحياتك. في امكانك السفر. اذ انني اذهب الى الولايات المتحدة بكثرة وقد تعلم جارود هناك الى حد اعتقد بأنه اميركي اكثر منه انكليزياً.

ثم انني أسافر باستمرار الى اوروبا، كما في امكاني اخذك في رحلة فنية، لا بد انك ستتمتعين بذلك».

استدارت سارة نحو السيد غرانت وقالت:

«رجاء. لا استطيع قبول العرض. اعرف ان جدي اوصى بذلك لكن لا بد انه كان مجنوناً حينئذ. جي كي ليس مدير مجلس الادارة

الآن، بل ان ابنه هو المدير ولا بد ان هناك مخرجاً ما من هذا المأزق».

«سأستشير جارود في هذه المسألة بالطبع» قال جي كي متضايقاً اذ انه لم يحب معارضة اي شخص له.

«يا له من تقدير كبير».

انبعث الصوت الساخر من ورائهم، وكان جارود قد دخل الغرفة بهدوء ووقف ليراقبهم ببرودته المعتادة. استقام في وقفته واضعاً يديه في جيبيه، انه لمن الرائع تقدير مشاعري الى هذا الحد يا جي كي، وهو اكثر مما توقعت منك. ما لم يفهمه احد منكم بصدد الوصية هو اننا اذا قبلنا جزءاً منها فعلينا في النهاية قبولها باكملها. بمعنى آخر، ان الآنسة روبنز ستحصل على ما يدعمها مالياً طوال حياتها ولن يكون بمقدور احد تغيير ذلك فيما بعد».

«ما تقوله فظيع». صرخت سارة محدقة في وجهه.

اما جي كي فعلق قائلاً:

«نعم فظيع. ان حديثك لا معنى له اذ اننا سنكون مسؤولين عن سارة حتى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فقط. أما بعد ذلك وحتى لو رغبت هي، الامر الذي اشك في صحته، في المطالبة بأي شيء فلن يحق لها ذلك».

«صحيح؟». وتنهد جارود بصوت مسموع «هل تعتقد فعلاً ان في امكانك التخلّص من مسؤولية شخص قبلت بنفسك تحمل مسؤوليته لمدة عام؟ ما الذي جرى لك يا جي كي؟ ما الذي جرى لعقلك المادي الذي طالما تفاخرت فيه؟».

«من الواضح انني وهبته اياك لتضيفه الى ما تملك، كيف تجرؤ على الوقوف هنا واهانة ضيف في منزلك؟».

«اهانة؟ انني لم اهن احداً. كل ما فعلته هو ذكر الحقائق كما اراها. اذ انني لا اعاني مثلك باختلاط قراراتي بالعواطف».

وأخذت سارة بالارتجاف بوضوح الآن، انها لم تتعرّض لمثل هذا الموقف في حياتها من قبل.

«رجاء. رجاء لا تقل شيئاً آخر، اذ لا اريد سماع أي كلمة. انا آسفة، آسفة».

وخطت بسرعة مجتازة جارود، فتحت باب الغرفة واندفعت الى الصالة غير شاعرة بما تفعله باستثناء احساس واحد الح عليها وهو الرغبة في الفرار بسرعة. واصطدم بها موريس حاملاً صينية الشاي.

«ولكن الى اين ستذهبين يا آنسة روبنز؟».

«ارجو ان تناولني معطفي اذ اريد الذهاب الى البيت».

«اترك ذلك لي يا موريس. سارة، سارة... ما الذي استطيع قوله؟ يجب الا تدعي ابني يزعجك.. انه رجل اعمال وهذه طريقته الوحيدة في التعامل. وهو يشبهني في رغبته بالحصول على ما يريده. يجب الاّ تدعي خلافاتنا الصغيرة تزعجك».

«خلافات صغيرة! لا تستطيع تسمية ذلك الجدال خلافاً صغيراً. انه لا يريدني هنا. وصرح عن رأيه بوضوح كما انه ولسبب ما لا يثق بي. لن أكون سعيدة هنا وتحت هذه الظروف».

«اوه سارة، اريد منك البقاء معي... أليس هذا كافياً؟».

«لكنك لست الوصي بل هو الوصي».

«نعم ولذلك يجب ان يخجل لسلوكه». دمدم جي كي غاضباً.

هزت سارة رأسها.

«اريد الذهاب الى البيت، اعني العودة الى بيت عائلة ماسون».

«ليس لديك بيت يا سارة. اعقلي. جارود لا يعيش هنا دائماً بل يقضي معظم وقته في لندن أو خارج البلاد. واؤكد لك ان الأمر لا يستحق القلق».

واصلت سارة هز رأسها:

«رجاء، دعني ارتدي معطفي اذ اريد ترك المكان».

ضغط جي كي على نفسه واستدعى موريس.

«ألن تغيري رأيك يا سارة؟».

«شكراً لكل شيء. هل هناك أحد سيأخذني الى البيت؟».

«موريس أخبر بوتر. اتمنى ان تغيري رأيك يا سارة».

نجحت سارة في رسم شبح ابتسامة على شفتيها ثم فتحت الباب ونزلت السلم ركضاً، قبل ان تدخل السيارة نظرت وراءها فلمحت جي كي واقفاً لوحده عند اعلى السلم فاحست بالدموع تنهمر على خديها. حينئذ ادركت بانه هو الآخر يعاني من الوحدة مثلها. وفكرت بان الوقت متأخر لتغيير رأيها.

في بداية الاسبوع التالي، قابلت سارة رئيسة الممرضات في المستشفى وأخبرتها بأنها ستبلغها نتيجة المقابلة خلال الأيام المقبلة. ولم يعد أمام سارة غير الانتظار والقلق، وحاولت في وقت فراغها التفكير بالعديد من المشاريع لتبعد عن ذهنها شبح جي كي ومالثورب واكثر من اي شخص آخر شبح جارود كايل.

ذات صباح، عند نهاية ذلك الاسبوع، جاء مدير المدرسة لرؤيتها بينما كانت تقرأ في المكتبة. قال:

«ها انت هنا يا سارة. في مكتبي زائر في انتظارك».

«زائر؟ ولكن من هو؟»..

«السيد كايل. كايل؟ ان الاسم مألوف بالطبع، منسوجات كايل، هل تعرفينه؟ هل هو قريب لأحد مالكي مصانع النسيج؟».

وشحبت سارة متسائلة:

«هل هو شاب ام عجوز؟».

«في أواسط الثلاثينات كما اتوقع».

«انه اذن رئيس مجلس ادارة شركات النسيج، هل ذكر ما الذي

يريده مني؟».

دهش مدير المدرسة:

«رئيس مجلس الادارة؟ كلا لم يقل شيئاً. الاّ انه بدا نافد الصبر لذلك عليك الاسراع لرؤيته. انه موجود في مكتبي وسأذهب أنا الى غرفة المدرسين».

«شكراً جزيلاً». وابتسمت سارة ثم سارت مسرعة نحو مكتب مدير المدرسة. وسألت نفسها عن سبب زيارته. طرقت الباب ثم دخلت مترددة.

كان جارود جالساً على حافة مكتب المدير يدخن سيكارة ويبدا وسيماً وانيقاً كالعادة. ارتدى بدلة غامقة اللون، وتضارب لون بشرته مع لون شعره الاشقر. بدا عليه الغنى واضحاً والسطوة كذلك. واذ دخلت الغرفة نهض واقفاً بينما بقيت هي مترددة عند الباب.

«اما ان تدخلي او تخرجي». قال باختصار فدخلت وأغلقت الباب وراءها.

فحص ملامحها فلاحظ شحوب وجهها والظلال المرتسمة تحت عينيها:

«انك لا تبدين بصحة جيدة».

استقامت في وقفتها وقالت:

«انني بخير يا سيد كايل» اجابت بهدوء.

«حسناً سأحاول تصديق ما تقولينه. والآن اخبريني هل عثرت على عمل؟».

«انني في انتظار نتيجة المقابلة مع رئيسة الممرضات. وآمل ان احصل على نتيجة جيدة».

«اتصلت برئيسة الممرضات بنفسي هذا الصباح وقد أخبرتني عن موافقتها فاخبرتها بأنك لن تذهبي».

«فعلت ماذا؟ سأذهب طبعاً، ويجب ان اتصل بها الآن لأخبرها. . .».

«كلا، لن تتصلي بها». قاطعها بنعومة: «لأنك لن تكوني بحاجة للعمل، بل ستأتين للعيش في مالثورب، على الاقل لمدة عام كما اقترح والدي».

رفعت سارة رأسها بكبرياء وقالت:

«كلا يا سيد كايل. لا رغبة لي في القدوم الى مالثورب لا الآن ولا في المستقبل».

«ولكنك ستأتين. . . والآن لا تدعينا نضيع الوقت. . . سأتحدث مع مدير المدرسة بنفسي بينما تقومين بجمع حقائبك اذ لن تعودي الى هذا المكان بعد الآن».

«لا تحاول استخدام اساليب غرف الاجتماعات معي يا سيد كايل لانها لن تنجح معي».

«اساليب غرف الاجتماعات؟». قال، مندهشاً «انك لا تعرفين معنى ما تقولينه حتى».

«حسناً قد تكون محقاً، الاّ انك لن تستطيع اجباري على عمل اي شيء».

وضع يديه في جيبي معطفه:

«آه حسناً يا آنسة روبنز، انك مخطئة اذ تتناسين انني وصيك وامتلك سلطة مطلقة عليك. الاّ اذا حاولت اخذي الى المحكمة لاثبات عكس ذلك، وهذا امر اشك في نجاحه اذ ان محاميّ افضل بكثير من اي محامي آخر ستوكلينه».

لم تصدق سارة ما سمعته «ولكن لماذا؟ لماذا؟، منذ اسبوع فقط اقترحت بانني. . . لا داعي لتكراره اذ تعرف انت ما قلته».

«اذكر جيداً ولم اغير رأيي كثيراً. رغم ذلك، يريد والدي منك الذهاب للعيش معه، وفي امكانه ان يكون مقنعاً جداً».

وبان في عيني سارة عدم اقتناعها:

«لا استطيع التصديق بأن جارود كايل القوي، مالك شركات كايل وسيد العالم يقتنع بما يقوله والده». ورأت في عينه اعجاباً التمع في الزرقة الغريبة.

ثم قال بهدوء:

«يعاني والدي من مرض القلب لذلك تقاعد عن العمل في وقت مبكر وعانى يوم الجمعة الماضية من نوبة ثانوية، ولست مستعداً للمخاطرة بحياته او صحته ارضاء لرغباتي. واذا ما رغب بك الى جانبه بهذه القوة فسيحظى بما يريد».

حزنت سارة لما اصاب جي كي وتساءلت:

«هل يعلم جي كي بمجيئك؟».

«بالتأكيد انه يعلم. هل تظنين انني اقوم بهذه المفاجأة؟ كلا لست مستعداً لذلك. حتى انني اشك باختلاقه تلك النوبة يوم الجمعة الماضية، ولكنني لست مستعداً للمقامرة على شيء لست متأكداً من صحته مائة بالمائة. لذلك هل ستذهبين لجلب ما لديك يا آنسة روبنز؟».

«وماذا اذا رفضت؟».

«انني متأكد ان قلبك ارحم من قلبي». اجاب جارود مطفئاً سيجارته.

«ولن تجرؤي على المخاطرة بصحة جي كي يا آنسة روبنز، اليس كذلك؟».

وعلمت سارة بانه كان محقاً في رأيه.

٣ـ امرأتان غيرها في حياته

كان جارود يقود سيارة سباق خضراء، ونظرت اليها سارة باهتمام، فعلق جارود قائلا:

«انها فيراري، سيارة غالية جداً، هل تريدين ان يشتري والدي واحدة لك؟».

اجبرت سارة نفسها على الصمت متحاشية الاجابة رغم ما حملته كلماته من اهانة لها. كلا لن تحارب رجلاً اكثر منها قدرة على اختيار سلاحه. ثم انها كانت حساسة بينما كان هو قاسياً.

وقاد جارود السيارة بعيداً عن باحة المدرسة بينما راقبتهما مجموعة من الصبيان كانوا يلعبون كرة القدم، نظرت سارة الى الوراء بنوع من الأسف فقال جارود:

«لا أصدق ان للمدرسة تأثيرها العاطفي عليك».

«ليس بالنسبة لشخص مثلك». بينما شدّت باصابعها على حقيبتها المدرسية.

لم يكن شارع ميد مزدحماً في تلك الساعة من الصباح، وكانت السيدة ماسون واقفة عند البوابة تتحدّث الى جارتها السيدة اشروود. تنهدت سارة حين رأتهما فقال جارود:

«والآن، ما الخطأ؟ هل تخشين تقولاتهما؟».

وكانت لهجته متهكمة.

«آه، لن تستطيع فهم ما اقوله». صرخت سارة بينما اوقف جارود السيارة قريباً من المرأتين، فتح باب السيارة ووقف الى جانبها.

«مرحباً ثانية، قد تشعرين بالراحة اذا ما علمت بان سارة ستغادر المكان».

خاطب جارود السيدة ماسون بوقاحة.

«ستغادر المكان؟» كان صوت السيدة ماسون خشناً:

«هل تعني بأنها ستعيش معك؟».

ابتسم جارود بكسل:

«بل مع والدي يا سيدة ماسون. كنت اعلم بانك ستسرين للتخلص من مسؤوليتها».

لم تستطع السيدة ماسون الاجابة لدهشتها، ثم اذ تنبهت لوجود السيدة اشروود الى جانبها تجرأت على الاجابة:

«لا ادري ما الذي تتحدث عنه يا سيد كايل».

«لماذا؟ حيث وضحت منذ البداية انك لن تستطيعي الاحتفاظ بالفتاة فترة طويلة».

«اعرف، لكن- حسناً- أنا...».

«لكنك لم تتوقعي حدوث ذلك اليس كذلك؟ بل توقعت ان تذهب سارة الى المستشفى للعمل بدون اي مساعدة منا، اليس هذا صحيحاً؟».

احمر وجه السيدة ماسون:

«لم افكر بما قلته، كما انه ليس من حقك ان تخاطبني بهذه الطريقة».

اثناء ذلك بقيت السيدة اشروود صامتة تتمتّع بالحوار المتبادل.

«حسناً، يسرني ذلك». ثم التفت الى سارة وقال لها:

«اذهبي لحزم متاعك واذا ما احتجت اي مساعدة...».

هزت سارة رأسها واقتربت منها، نظرت اليها السيدة ماسون بغضب:

«ستغادرينا اذن؟».

فأومأت سارة برأسها واكتفت السيدة ماسون بالنظر اليها.

فاحست سارة، لاول مرة، بالراحة لوجود جارود.

لم يأخذ حزم متاعها وقتاً طويلاً، واذ حملت حقائبها خارج البيت لاحظت وقوف جارود قرب السيارة مراقباً السيدة ماسون المنشغلة في حديث طويل مع جارتها. واذ رآها رمى عقب السيكار وتناول حقائبها واثناء وضعها في السيارة قال هامساً:

«لم يكن المشهد سيئاً، اليس كذلك؟». فهزت رأسها موافقة.

شكرت سارة السيدة ماسون لعطفها، لانها في الواقع عطوفة رغم اختلاط مشاعرها بالحسد ثم ودعتها وسارت نحو السيارة شاعرة بعيون الامرأتين تراقبانها. وادركت ان البلدة كلها ستعرف القصة في وقت لن يتجاوز المساء.

جلس جارود خلف المقود بعد ان فتح باب السيارة لها.

«ادخلي بحق السماء، ليس هناك من يهددك بمسدس مصوب الى ظهرك».

وادركت سارة بانه يعرف تماماً ما يجول في خاطرها، فاطاعت امره ودخلت السيارة. واخيراً استرخت في مقعد السيارة الوثير وتنهدت.

«حسناً، انتهى الامر الآن، يا لك من طفلة مدجنة! انني لا اتذكر ابداً اتخاذي موقفاً كهذا حين كنت في عمرك».

«لا اظن انك قادر على ذلك». اجابت نتيجة ملاحظته اللامبالية.

ضحك جارود وعلق:

«ذلك احسن. اظهري القليل من التمرد. اذ انك ستلتقين في حياتك الجديدة بالعديد من الشباب وسيلتهمك الاقوياء اذا اصررت على سلوك مسلك الفأرة».

«رجال مثلك!». تساءلت سارة بغضب وبلا تفكير.
وكان جواب جارود ساخراً:
«كلا ايتها الطفلة، اذ انني لا أُصنف تحت ذلك النموذج. الّا انني سأراقب ما سيحدث وسأحظى بمتعة كبيرة نتيجة ذلك».
«انك قاس». قالت بصوت عال وهي تشد قبضتها بقوة.
«صحيح؟ تذكري ذلك دائماً وستكون علاقتنا جيدة».
كانت لسارة غرفتها الخاصة في مالثورب. وحين قادتها هستر الخادمة الى هناك، لم تستطع كبح فرحها لمرآى الغرفة.
والتزمت هستر الصمت اذ رأت سارة تدور في الغرفة متفحصة كل ما فيها بفضول وفرح. كانت السجادة الوردية الناعمة تغطي الارضية بأكملها. خزانة الملابس الكبير وطاولة الزينة، لون غطاء السرير يطابق الستائر السميكة. انتظرت هستر عدة دقائق ثم توجهت نحو باب آخر في الغرفة وفتحته.
«ها هو حمامك يا آنسة سارة». ودخلت سارة الحمام بسرعة لتلقي نظرة فواجهتها صورتها في مرآة كبيرة احتلت الجدار. اما الرف الصغير فقد وضعت عليه كل مواد الزينة والصابون المعطر وفكرت سارة بانها ستقضي ساعات طويلة لتجرب كل الانواع. فكل ما كانت تمتلكه في تلك اللحظة هو قلم أحمر شفاه واحد ومكحلة صغيرة.

ونظرت سارة الى هستر بفرح لا يخفى وقالت:
«شكراً جزيلاً». فابتسمت هستر وسارت نحو الباب:
«لا تشكريني بل اشكري السيد كايل».
«جارود؟». تساءلت سارة بلا تفكير:
«كلا ليس السيد جارود يا آنسة بل السيد جي كي».

«آه، آه نعم بالطبع».

«سيكون الغذاء جاهزاً خلال ربع ساعة وسيقدم في الصالة الصغيرة».

«أين هي؟».

«اذا ما وصلت الى الصالة، انا متأكدة بأنك ستجدين احداً يرشدك الى المكان».

اجابت هستر ثم غادرت المكان مغلقة الباب خلفها.

بعد ان ذهبت، بدأت سارة فتح حقائبها ووضعت ملابسها على الفراش. ثم تذكرت موعد الغذاء بعد قليل، لذلك توجهت الى الحمام اولاً لتغتسل بسرعة قبل وجبة الطعام. كان الحمام رائعاً وتمنت لو تقضي وقتاً اطول متمتعة بالنظر الى نفسها من كل الجهات، الأمر لم تفعله من قبل. الآ انها اسرعت لارتداء ملابسها، الزي المدرسي والقميص الابيض وظنت بأن ذلك ملائم في الوقت الحالي ثم اسرعت الى الطابق الارضي.

واذ سارت في الصالة الكبيرة، ادركت سارة بأنها المرة الاولى التي ترى فيها مالثورب خلال النهار، وتلهفت لاستكشاف الخارج. ربما ستخرج بعد الغذاء. وحين ادركت بانها ستعيش في هذا المكان فعلاً، انتابها احساس غريب بالرهبة. وكان ذلك طبيعياً اذ انها فتاة في السابعة عشرة من عمرها وصلت منذ ساعات قليلة الى مكان غريب عنها، كما ان هناك العديد من الاشياء التي تتلهف للتعرف عليها، فنزلت درجات السلم بسرعة وقفزت الدرجتين الاخيرتين معاً.

كان موريس واقفاً في الصالة، يصنف بعض الرسائل. ابتسم لمرآها وقال:

«ارجو ان تكوني مرتاحة في غرفتك يا آنسة».

«مرتاحة؟ انها رائعة. آه موريس، انني فرحة جداً، ولا أظن انني استطيع تناول شيء الآن...».

ضحك موريس ففكرت سارة بانها ستحبه اذ انه مختلف عن بقية السعاة الذين قرأت عنهم، اذ انهم جميعاً عجائز وصارمون، أما موريس فكان في الاربعين من عمره، نحيفاً وطويل القامة.

«انا متأكد بأنك ستجدين الطعام شهياً الى حد لا يقاوم، هل تعرفين اين السيد جارود ووالده؟».

واذ ذكر موريس اسم جارود عاد لسارة ترقبها.

«كلا، لا ادري».

«اذن تعالي معي». وقادها عبر الصالة وخلال المدخل الى غرفة لم ترها من قبل، كانت اصغر من غرفة الجلوس، الا انها مؤثثة وفق الطراز نفسه، كانت السجادة حمراء وطقم الكراسي أخضر. وفكرت سارة بأنها غرفة استخدمت في الايام الماضية من قبل السيدات للتطريز او الخياطة، الا انها حديثة الطراز الآن ومزودة ببوفيه رائعة.

جاء جي كي بنفسه للقائها مبتسماً بحرارة:

«حسناً يا سارة، هل تظنين بأنك ستكونين سعيدة هنا؟».

«آه جي كي يا له من سؤال». قالت سارة بحماس ثم لاحظت فجأة وجود شابة أخرى جالسة على الكنبة المقابلة، مراقبة اياها بعينيها الزرقاوين. كانت أنيقة وجميلة وذات شعر أحمر قصير. كانت ملامحها مثيرة وذات جسد رشيق. ولاحظ جي كي نظرات سارة فاستدار لتقديمها الى الفتاة:

«تعالي وقابلي لورين ماكسويل، لورين هذه سارة روبنز».

لم تنهض لورين ... بل اكتفت بمد يدها نحو سارة التي صافحتها بحركة خرقاء مدركة بأن عليها الكثير لتتعلمه اذا ما ارادت

لقاء الناس في المكان الجديد. تفحصت لورين ملابس سارة ولاحظت سارة اناقة لورين وذوقها الرفيع في اختيار ملابسها.

«انت اذن سارة كنت متلهفة لمقابلتك».

كانت سارة متأكدة بان لورين لا تبدي اهتماماً بأي انسان ما لم يكن لذلك الانسان تأثير خاص على حياتها، وعلى العموم لم تكن سارة تعرف بماذا تجيبها فاكتفت بالصمت في انتظار تعليق جي كي:

«تملك عائلة لورين الارض المحاذية لارضنا. نعرف بعضنا منذ كانت لورين طفلة، وهي تعتبر مالثورب بيتها الثاني».

ابتسمت لورين بطريقة مثيرة وقالت:

«عزيزي جي كي».

تساءلت سارة بنفسها لِمَ أحست بعدم الراحة لكلمات لورين؟ ربما لانها ظنت انها ستعيش لوحدها مع جي كي في مالثورب بدون ان تتوقع لقاء شابات اخريات يعتبرن مالثورب بيتهن الثاني. وادركت بانها لن تحب لورين لسخافتها

بقيت سارة واقفة وكأنها في انتظار فرصة ملائمة للهرب، الاّ ان جي كي ناولها قدحاً مملوءاً بعصير البرتقال وطلب منها الجلوس على مقعد قريب من لورين.

«اتمنى لو يسرع جارود في الحضور اذ انني سأموت جوعاً».

«حاول شيرادان الاتصال به طوال اليومين الأخيرين الاّ انه فشل لأن جارود كان مشغولاً باعماله الكثيرة».

«اعمال!، لم لا يعيّن جارود نائباً عنه يقوم ببعض اعماله وهكذا يتيح لنفسه الحصول على بعض الراحة؟».

«لانه يحب عمله» قال جي كي برضى «ما كان لشركات كايل قوتها الحالية بدون شخصية جارود».

«اتعني طريقته الخاصة في معاملة النساء؟». علقت لورين ببرود

فهز جي كي كتفيه:

«ما هي علاقة النساء بعالم الصفقات المالية؟ علّق جارود بكسل بعد دخوله الغرفة. «لورين انك ترسمين لضيفتنا صورة سيئة عني، ما لم تكن قد رسمت لنفسها واحدة حتى الآن بالطبع».

«تعال واجلس يا عزيزي وسأبين ما اعني».

«لن يكون ذلك ضرورياً» اجاب ناظراً الى سارة «هل تظنين انك ستحبين العيش هنا يا سارة روبنز؟».

هزت سارة رأسها:

«لا استطيع ابداء رأيي الآن وخاصة بعد وصولي بفترة قصيرة. أجابت بحزم فنظر اليها باعجاب خفي.

«حسناً، انا متأكد بان جي كي سيبذل اقصى جهده ليجعل اقامتك سعيدة».

ثم استدار نحو جي كي وقال:

«سأغادر بعد الغداء».

فقالت لورين محاولة التودد اليه:

«اوه جارود، هل هذا ضروري؟».

«نعم يا عزيزتي». اجاب جارود باستهزاء. «لدينا اجتماع مهم يوم غد مع حاملي الاسهم بصدد مشروع جديد مع شركة أميركية للانسجة وأجد حضوري ضرورياً لاظهار دعمي للمشروع».

«جارود، رغم عودتك من اجازتك منذ اسبوعين فقط، الا انك منغمس الآن بالمشاريع حتى قمة رأسك. تذكر بأن كل شيء كان على ما يرام عند غيابك، وكان في امكانك الانتظار حتى نهاية الاسبوع المقبل لتحمل المسؤولية من جديد، هناك حفلة راقصة محلية يوم السبت ووعدتني من قبل بمصاحبتي اليها ثم ان هذه منطقتك ويجب ان تبدي بعض الاهتمام بالمراسيم المحلية».

لم يجبها جارود لوصول موريس معلناً بان الغداء جاهز. جلسوا لتناول الطعام في الغرفة الصباحية، وجلسوا حول طاولة دائرية وبشكل حميم وتمنت سارة لو كانت هناك مسافة فاصلة بينهم، اذ ان صغر المكان جعلها تحس بالعصبية، مما افقدها السيطرة على نفسها واسقطت الشوكة على الارض مرتين. كانت الوجبة لذيذة، قدم لهم اولا كوكتيل فواكه ثم اللحم المشوي واخيراً حلوى التوت البري. وارتاحت سارة لفكرة مغادرة جارود المكان بعد الغداء.

اذ سيمنحها ذلك فرصة معرفة المكان قبل عودته.

عند انتهاء وجبة الغداء. قال جي كي:

«سنقوم هذا المساء بجولة حول المكان واظن بانك ستتمتعين بذلك».

«آه، ذلك رائع، اذ انني لم ار خارج المنزل اطلاقاً خاصة وانني جئت المرتين السابقتين بعد حلول الظلام».

بدا على لورين الضجر وقالت:

«أيتها الطفلة العزيزة. كنت أظن انك ستفضلين الجلوس في مكان دافىء، في ظهيرة يوم بارد من أيام كانون الثاني».

أحمر وجه سارة واجابت:

«لا اظن ان الجو بارد الى هذا الحد يا آنسة ماكسويل، ولكنه بالطبع، اذا لم يرغب جي كي...».

«هراء! سنذهب بالتأكيد. اذ اني اريد ان اريك الاسطبلات وسيعلمك دافيوث ركوب الحصان في المستقبل، هل تستطيعين ذلك؟».

«تعلمت بعض المبادىء في المدرسة وخرجت مع بعض الاصدقاء عدة مرات، الا انني لست ماهرة تماماً».

فرك جي كي يديه فرحاً وقال:

«رائع، على الاقل لست جاهلة كلياً».

نهض جارود واقفاً:

«يبدو لي بانك ستكونين مشغولة تماماً يا سارة، واذ يبدو لي ان الوالد يمر بمرحلة طفولة ثانية، اظن بأنكما ستتمتعان بصحبة بعضكما».

ضحكت لورين لتعليق جارود ثم نهضت واقفة. ولم يبد على جي كي الاستياء.

«ربما تشعر بالغيرة يا جارود، خاصة وأنك في سن ملائمة للزواج وانجاب الاطفال. من المؤسف انك مشغول دائماً اذ بسبب ذلك لا تفهم معنى المتعة».

«هل تظن ان سارة ستفضلني كوالد؟ انا متأكد بان علينا سؤالها رأيها؟».

احنت سارة رأسها وتمنت في قرارة نفسها ان يتوقفا عن المجادلة في حضورها.

«اظن انك تتمتع بالاستهزاء بي يا سيد كايل، اما بصدد اتخاذك والداً، فانني افضل عدم القيام بذلك الدور».

ضحك جي كي وابتسم جارود لتعليقها ثم انحنى امامها تحية:

«والآن يا لورين، ما الذي ستقومين به؟».

تنهدت لورين مجيبة «سأعود الى هازلدين. ما لم تقترح شيئاً آخر».

هز جارود رأسه:

«ليس الآن، علي العودة الى لندن بأسرع وقت، الاّ انني سأحاول العودة لحضور حفلة يوم السبت».

«صحيح؟ كم انا فرحة».

«لا اضمن ذلك تماماً، الاّ انني سأحاول جهدي وسأتصل بك

تلفونياً يوم السبت لأخبرك بقراري».

وكان عليها الاكتفاء بذلك. غادر جارود الغرفة ليستعد للمغادرة فتبعته بعد ان ودعت جي كي وابتسمت لسارة بأدب.

استرخت سارة بعد مغادرتها فقال جي كي:

«ماذا حدث؟ انها معاملة لورين، اليس كذلك؟».

«شيء من هذا القبيل».

«تناسي المسألة كلها، ان جارود هو مركز الاهتمام، وحين يسافر تنقطع لورين عن زيارتنا. انها فتاة طيبة الا انها تحاول فرض تعاليها على من تلتقي بهم، فلا تدعي لها فرصة لذلك واعتقد بانها ادركت جيداً، ومنذ اللحظة الاولى، بأنك لست فأرة مسكينة تستطيع هي السيطرة عليها».

قال جي كي عندما غادر جارود المكان بسيارة السباق السريعة:

«ذات يوم، سيقتل نفسه بهذه الطريقة». ثم نسي قلقه وتمتع باخذ سارة لرؤ ية كنوزه الثمينة.

كان هناك الكثير مما يجب ان تراه سارة حتى انها احست بالتعب. البيت نفسه تحفة جميلة بصالاته، غرف الطعام، غرف النوم، الحمامات، وتشمله تدفئة مركزية. ثم تبعت جي كي الى ملحق خاص بالمنزل يحوي لوحات جي كي الثمينة فقط. ورغم ان سارة تمتعت بالنظر الى اللوحات الا انها لم تفهم رغبة جي كي في شرائها وخزنها بدون ان يدع لبقية الناس متعة النظر اليها، الا انها لم تصرح برأيها علانية لئلا تجرح مشاعره. واحبت اكثر مجموعته الثمنية من الآنية الزجاجية والكريستال. وتمتعت بالنظر الى احجار الشطرنج المنقوشة بشكل ماهر.

«هل تلعبين الشطرنج يا سارة؟».

«نعم، اذ اعتدت اللعب مع جدي مرة واحدة اسبوعياً. كان

يحب لعبة الشطرنج».

«اعرف ذلك. وانا الآخر اعتدت اللعب منذ سنوات. حسناً، اظنْ ان في امكاننا تخصيص أمسية للعب سوية من الآن فصاعداً».

اخذها بعد ذلك الى الاسطبلات حيث عرفها على المدرب والخيل ذات الاسماء الاسطورية ابولو، بيرسفون، واثينا، وحصان ابيض سماه الاسكندر.

«ما رأيك باختيار الاسماء اليونانية لها؟ اخترتها بنفسي، حيث قضيت عدة اشهر مع جارود في اليونان منذ سنوات واصبحت مهووساً بالاساطير».

مسدت سارا انف اثينا:

«انا الاخرى احب الاساطير خاصة قصص هومر الرائعة».

بدا على جي كي الفرح «كما قلت لك يا سارة، هناك الكثير مما يجمع بيننا، سنذهب في الربيع الى هلينوس حيث ترين الجزر بنفسك».

«هلينوس؟».

«انها جزيرة في ايجون ولدي منزل هناك، حيث نستطيع قضاء بعض الوقت هناك اذا رغبت».

«حسناً جي كي. هل انت متأكد مما تريد؟ اعني من وجودي هنا اولاً؟ اذ لم نناقش المسألة حتى الآن».

«لم النقاش؟ اريد منك البقاء هنا كما اردت انت المجيء».

«نعم، نعم اردت المجيء الى هنا ولكن ليس للاسباب التي ذكرها جارود».

«ليذهب جارود وأسبابه الى الجحيم. ان له عقلية مرتزق. ثم انه متعود على المنافسات والصراع الى حد انه نسي وجود ما هو شريف واخلاقي بين الناس».

هزت سارة كتفيها ولم ترغب بالجدال حول جارود، ولم ترغب بحضوره المثير للاضطراب، مع ذلك كانت ترغب في اعماقها بالتخلص من تأثيره عليها رغم علمها بصعوبة الغاية. كان هناك شيء خفي يثير احاسيسها عادة كلما رأته. انه احساس لم تعرفه من قبل. اقنعت نفسها بانه لم يكن احساساً حسياً، لانها كانت على معرفة سطحية بالرجال، اذ حاول جدها توعيتها في هذا المجال وخاصة بصدد الفرق بين الرغبات والاهواء الطارئة والحب الحقيقي. اخبرها جدها ان الحب عاطفة دافئة وعميقة ومختلفة عن العلاقة الطارئة. والمشاهد التي تراها عادة على شاشة التلفزيون في الافلام التجارية لا علاقة لها بالحب- هذا ما اخبرها جدها ولكنه لم يوضح لها طبيعة الاحاسيس الغريبة التي تنتابها حالياً، احمرار الوجه والاضطراب، الخوف والتلعثم في نطق الكلمات البسيطة، استنتجت اخيراً ان حضور جارود يخيفها ويثيرها في الوقت نفسه.

راقبها جي كي بعينيه الحادتين «ما الذي تفكرين فيه الآن؟».

احمر وجه سارة وهزت رأسها:

«لا شيء مهم يا جي كي».

اخبرها جي كي فيما بعد وأثناء تبادلهما الشاي سوية:

«سنذهب غداً الى ليدز، أرغب برؤيتك مرتدية بعض الملابس الجميلة».

«ولكن لدي ما يكفي من الملابس. كل ما في الأمر أنني كنت مستعجلة للنزول قبل الغداء فلم اجد الوقت ملائماً لتغيير ملابسي الفروسية».

«كلا سارة، هذا لا يكفي يا عزيزتي. دعيني اولاً اوضح لك شيئاً بدون ان اثير حفيظتك. اعرف ان ملابسك جميلة واعرف ان جدك بذل جهده لاختيار الاحسن لك. ولكن عليك ان تفهمي الآن، مهما

كانت كلماتي مؤذية، انك ستلتقين بالعديد من الاثرياء وذوي النفوذ، وسيتوقع الجميع حضورك بملابس ملائمة لمركزك».

«ولكنني لست صاحبة مركز حقيقي».

«بالعكس، ان لك مركزك الخاص بغض النظر عما قاله جارود وستعاملين هنا معاملة ابنة لي. اذ تمنيت دائماً ان ارزق بابنة، لم تستطع هيلين في البداية، اما في النهاية فلم ترغب بذلك- ولم يكن باستطاعتي عمل اي شيء».

«كان في امكانك تبني طفلة ما». قالت سارة متأملة ما قاله.

«اعرف. لكن الامر كان مختلفاً، حسناً، قد لا تصدقين باني كنت أودّ جفري روبنز كثيراً، صحيح انني لم اره في السنوات الاخيرة، الاّ انني لم اتوقف اطلاقاً عن التفكير به، ومن الواضح انه كان يفكر بي ايضاً».

«وهكذا سلم حفيدته واعباءها لك».

«لا تشعري بالمرارة رجاء». وبدا عليه الغضب حينئذ: «سارة، بحق السماء، اعتقد بان لموقف جارود تأثيراً واضحاً عليك. انني الآن الوصي الفعلي وليس في امكانه، حتى لو اراد ذلك، عمل اي شيء للحيلولة دون ذلك».

وتنهد مضيفاً «حاولي فهم موقفه، انه مسؤول عن الآلاف من الناس العاملين معه. واذا ما اصبح نتيجة عمله، قاسياً فلأنه يجب ان يتصرف بهذه الطريقة. هل تتوقعين وجود رجل في مركز جارود قادر على الانصات لكل اقصوصة وهمسة؟ انك حالة استثنائية لي فقط، اما بالنسبة الى جارود فما انت سوى مسؤولية اخرى تضاف الى اعبائه».

«افترض ان ما تقوله صحيح» وصبّت لجي كي الشاي مرة ثانية، بينما تناولت فطيرة تفاح ساخنة.

«هل استطيع طرح سؤال عليك؟».

«بالطبع. لك الحق في القاء اي سؤال ترغبين فيه».

«ما هي العلاقة بين جارود والآنسة ماكسويل؟».

«لورين؟ ظننت ان الأمر سيثير فضولك. لورين تعرف جارود منذ سنوات كما اخبرتك. انها اصغر منه عمراً، الا انها لم ترغب بشخص آخر سواه منذ التقت به».

«وماذا عن جارود؟».

«جارود؟ انه سؤال صعب يا سارة. انه رجل له شخصية غير معروفة حتى بالنسبة الي. في لندن، هناك صديقة له تدعى تريسي ميرك والدها طبيب اخصائي في شارع هارلي. وهي عارضة للازياء، ويبدو ان لديها الكثير من الاجازات اذ تصاحب جارود في كل مكان يتوجه اليه حين يكون في المدينة. وجاءت هنا مرتين مما اثار غضب لورين، يبدو ان جارود يحب كلتيهما، وان الفتاتين تحبانه كثيراً، الّا انني لا اعتقد انه يرغب بالاختيار الآن. انه في الخامسة والثلاثين من عمره ويجب ان يفكر جدياً بالزواج وتكوين عائلة له، الّا انه يحب ويقدر حريته. ذهب في فترة عيد الميلاد الى جامايكا لزيارة والدته هيلين وبقي هناك ستة اسابيع لوحده بدون ان يصطحب اياً منهما. وهكذا اختارت لورين الذهاب الى سويسرا مع والديها لقضاء العطلة هناك».

«ومن هي التي تفضلها أنت؟».

وضع جي كي كوبه في الصحن وقال:

«حسناً، من الطبيعي انني اعرف لورين، لذلك تستطيعين القول بأنني افضلها، الّا انني لا اعرف اياً منهما ستجعله سعيداً. هذه الليلة مثلاً سيذهب الى شقته، بالمناسبة يجب ان تذهبي لرؤيتها ذات يوم، يغير ملابسه ثم يتصل بتريسي، حيث يتوجهان بعد ذلك الى احد

الاندية الليلية يقضيان فيه ليلتهما حتى الساعات الاولى من الصباح، ثم يعود لينام ساعتين يتوجه بعدها الى اجتماعه المهم. يا لها من حياة!».

لم تستطع سارة كبح رغبتها في الابتسام فقالت:

«يبدو لي انك غيور».

ضحك جي كي وقال بمرح:

«نعم اعترف بذلك».

٤ - تدور كالفراشة

توجها يوم الجمعة، كما اقترح جي كي الى ليدز. كان هناك محل ازياء نسائية يدعى مارتيللي ولا يسترعي الانتباه من الخارج، طلب جي كي من السائق الوقوف امامه. وكان داخل المحل عالماً مختلفاً، عالم ازياء نسائية رائعة وثمينة، لم تحلم سارة بوجوده خارج لندن على الأقل، وكان لجي كي ذوق ممتاز فاختار لسارة ملابس لاءمت جسدها النحيل الى حد الكمال: الألوان الحارة كالأحمر والأصفر ثم الأخضر اكثر من اي لون اخر. ولما بدأت سارة ارتداء الملابس الواحد تلو الآخر فكرت بأن جي كي سيشتري لها فستانين او ثلاثة، الا انه اشترى في النهاية، كل ما اعتبره ملائماً لها من بدلات نسائية جميلة، فستانين سهرة، تنورات ... واخيراً معطفين احدهما من الفراء لترتديه مساء، اضافة الى مجموعة بلوزات شتوية. اعترضت سارة حين رأت كومة الملابس المتزايدة، الا ان جي كي كان متمتعاً الى حد لم ترغب فيه باثارة غضبه، وادركت حينئذ صحة ملاحظة جارود عن استعداد والده لشراء اي شيء ترغب فيه.

زارا بعد ذلك محل احذية واشترى لها مجموعة احذية وصنادل وزوج احذية طويلة الساقين، من الجلد الخالص. حينئذ توصلت سارة الى الاقتناع ألاّ فائدة من الاعتراض خاصة وانها بدأت الاحساس بالتعب.

واخيراً عادا الى البيت عصراً لتناول الشاي. ومساء لتناول العشاء سوية لوحدهما. وفضلت سارة البقاء مع جي كي في البيت حيث كان

عطوفاً وطبيعياً اكثر معها بشكل تستطيع فيه نسيان ماضيها الاجتماعي المختلف.

اتصل جارود بوالده يوم السبت ليخبره بانه لن يستطيع حضور الحفلة، وكان جي كي قد ذكر الحفلة لسارة الا انها لم تبد اهتماماً لحضورها. اذ لم ترغب بالذهاب الى مكان مكتظ بالناس حيث تكون محط انظار الجميع. وكانت في الغرفة حين اتصل جارود بجي كي.

«ما الذي يمنعك من المجيء؟ انت تعرف جيداً ان لورين تتوقع مصاحبتك لها».

لم تستطيع سارة سماع ما قاله جارود غير ان جي كي قال غاضباً:

«كلا، كلا. سارة لا ترغب في الذهاب».

احست سارة بالدم يغلي في عروقها والاحساس الغريب يعاودها. لم يرغب بالمجيء، لانه ظن بانها ستطلب مصاحبته وهكذا يكون معلقاً بينها وبين لورين. احست بالغضب الشديد ينتابها. كيف يجرؤ على التفكير بتلك الطريقة.

بعد عدة دقائق، اعاد جي كي سماعة الهاتف الى مكانها بغضب:

«حسناً ليذهب الى الجحيم».

«ماذا جرى جي كي؟».

«لا بد انك سمعت لن يأتي الى الحفلة رغم وعده للورين».

«هل لديه عمل مهم؟».

«كلا، وهذا هو الجانب الأسوأ. انه سيذهب الى مونت كارلو لقضاء عطلة نهاية الاسبوع مع فوستر ميرك».

«من هو فوستر ميرك؟».

«انه والد تريسي. وبلا شك سترافقهما تريسي. انه يعتبر فوستر صديقاً مقرباً منه خاصة وان الفرق بين عمرهما هو عشر سنوات

فقط».

احست سارة بانقباض في بلعومها. كان عليها ان تدرك من قبل ان رجلاً مثل جارود يقضي غالبية وقته خارج البلد ولا بد انه يحيا حياة مثيرة ومهمة اكثر من حضور حفلة محلية راقصة. ومع ذلك احست احياناً بأنها تحبه لأنه جعلها تشعر بالأمان .

«سمعتك تذكر اسمي، لم ذلك؟».

«اقترح بأن اذهب مع لورين بنفسي. كما لو ان لورين ترغب بصحبة عجوز مثلي».

«اه. . .». ونظرت سارة الى اصابعها محاولة ايقاف نفسها عن تخيل اشياء لا وجود لها. من الواضح انه لم يفكر بها اطلاقاً. انه يعتبرها طفلة يهتم بها والده لا غير. وكانت سارة غبية الى حد صدقت فيه انه يعتبرها شيئاً اخر اكثر من مجرد ازعاج دائم له.

«هل تريدين الذهاب اذن؟».

دهشت سارة لسؤاله «انا، كلا، انني اشعر بالسعادة اكثر هنا».

«حسناً، سأذهب اذن لاستحم وسأراك عند العشاء يا عزيزتي».

بعد ان ذهب، اصغت سارة الى بعض الموسيقى الحديثة ثم بدأت بالرقص والدوران حول المكان. كانت الموسيقى سريعة جعلتها تنسى كل شيء، وكانت تائهة في عالمها الخاص حين عاد جي كي ووقف عند الباب مراقباً اياها قبل ان يقول:

«ارى انك بدأت بالاستقرار».

«آه، لقد اخفتني».

«آسف، استمري اذ احب ان اراقبك. ذلك الفستان يلائمك تماماً».

كان فستاناً قصيراً، واخضر اللون ومن الصوف مما اتاح ابراز تفاصيل جسدها الجميل. وكان شعرها الأحمر متناثراً على كتفيها بلا

انتظام. ثم قال جي كي:

«لم الحظ هذا من قبل يا سارة، الا انني اعتقد بأنك ستكونين امرأة جميلة».

احمر وجه سارة واكتفت بالهمس «جي كي».

«حسناً انها الحقيقة... واعتقد بأنني سأشتري لك سيارة».

«اوه كلا، رجاء. لا تشتري لي اي شيء اخر. ليس لأنني لا اقدر ما تفعله، ولكن لا تبذر نقودك علي».

«هراء. انك في حاجة الى سيارة سباق صغيرة».

وتذكرت سارة كلمات جارود الساخرة عن كيفية دفع والده لشراء سيارة لها، واقشعر بدنها للفكرة. اذا عاد ووجد السيارة امام المنزل فعليها ان تتوقع اسوأ رد فعل.

اعترضت مرة اخرى الا انه اكتفى بالضحك وقال:

«سأتصل بهورنز يوم الاثنين وسأرى ما لديهم من سيارات».

اعتادت سارة في الاسبوع التالي لفكرة العيش في مالثورب. كانت ايامها مكتظة بالنشاطات المختلفة واذا ما حدث وبقيت في المنزل، قضت وقتها في غرفة المكتبة متصفحة الكتب التي لم يقرأها جي كي. وتعلمت ركوب الحصان مع دايفوث، ثم كان عليها تلقي دروس قيادة السيارات بينما وضعت سيارتها الخاصة في الكراج.

واكثر اهمية من اي شيء آخر تعلمت سارة الثقة بنفسها، ورغم ان من زارهم خلال تلك الفترة هم عائلة ماكسويل، الأب والأم والابنة والطبيب لاندري من القرية فانها تعلمت فن الحديث بشكل تدريجي. لم تتحدث معها لورين كثيراً بل عاملتها ببرود متعمد، الا ان والدها دونالد ماكسويل كان رجلاً ساحراً وانشغل بالحديث مع سارة عن اهتماماتها المختلفة. اما جنيفر ماكسويل الأم فانها كانت اقل مودة وابدت ما يدل على اعتبار سارة محظوظة.

وفكرت سارة بأنها لا تستطيع الا ان توافقها على رأيها، مع اختلاف واحد هو انها لا تستطيع التكهن بما سيجلبه لها المستقبل.

ذات مساء اخبرت سارة جي كي بأنها ستذهب للتسوق، الا انها تركت السيارة في سوق بريدجستر واخبرت بوتر انها ستلقاه خلال ساعة بعد ان تشتري بعض الاشياء. ثم توجهت الى بيت عائلة ماسون. ورغم مغادرتها المكان منذ اسبوعين فقط الا انها احست بغربة المكان عنها، طرقت الباب ففتحت ليلي ماسون الباب.

«يا الهي، انها صاحبة السعادة يا امي».

لم تهتم سارة بملاحظتها بل دخلت مباشرة حيث وجدت السيدة ماسون في المطبخ.

«اهلا سيدة ماسون، كيف حالك؟».

تفحصتها السيدة ماسون بدقة، معطفها الموهير بقبة من الفراء والمظلة الجميلة في يدها.

«ها قد جئت ثانية. لم اتصور ذلك ابداً».

«لماذا؟».

«لانك عدت لاخذ حاجياتك مثل ارنب مذعور مصطحبة معك ذلك الرجل معاملاً اياي كالغريبة في بيتي».

«لكنه لم يدخل البيت».

«كلا، لكنه وقف عند البوابة مراقباً اياي كالصقر. ولم اجرؤ على دخول المنزل، حتى غادرت انت اخيراً».

«لا تقولي ذلك يا سيدة ماسون».

«لا تعارضي ما اقوله، اذ ان ما تفعلينه لا يليق بنا».

«ما الذي فعلته؟».

«ذهابك مع رجل غريب قبل ان تخبريني مسبقاً بما سيحدث».

«لكنني لم اعرف مسبقاً. اصيب والده بنوبة قلبية و...».

«وطلب رؤيتك لست غبية لأصدق حكايتك هذه».
«لا اعرف ما تعنينه بصراحة. اذ انك تعرفين قصة الوصية كما يعرفها كل شخص اخر».
«وذلك الرجل، السيد كايل هو الوصي عليك... اليس كذلك؟».
«نعم...».
«ما قلته صحيح اذن».
«كلا، انك لا تفهمين، انني لا اعيش مع جارود..».
«وهل اصبحت تدعينه جارود الآن؟ والآن غادري المكان حالاً قبل ان انادي سيريل ليأتي ويدفعك خارجاً. اذ لا اريد رؤية فتاة مثلك».
«سيدة ماسون، لم اقم بما يخجل صدقيني. انني اعيش مع والد ذلك الرجل...».
«ولكنك قلت بأنه أصيب بنوبة قلبية».
«نعم».
«نعم، والآن غادري المكان يا آنسة روبنز، اذ لا ارغب بسماع المزيد عنك. لست بحاجة لازعاج نفسك بالمجيء لعرض ملابسك الجديدة انني اعرف معنى ما حدث، اذ لست غبية الى هذا الحد».
هزت سارة رأسها ثم اندفعت الى الخارج بعد ان دفعت ليلي جانباً.
ركضت خارج المنزل وواصلت ركضها في الشارع حتى وصلت الى السيارة.
كان بوتر جالساً خلف المقود يدخن سيكارته، الا انه اطفأها حالما رأى سارة قادمة.
«هل انهيت التسوق يا آنسة؟».

«نعم شكراً يا بوتر».

بدأ بوتر قيادة السيارة بينما جلست هي في المقعد الخلفي، لعله لاحظ اكتئابها ودموعها، الا انه لم يكن متعوداً على التدخل في شؤ ون مستخدميه، والى ان غادرا البلدة كانت دموعها قد جفت، الا ان الاذى بقي كما هو، لم تكن تتصور ان بامكان اي انسان ان يكون سيئاً الى هذا الحد، اذ اتهمتها السيدة ماسون باشياء لا بد انها كانت مدركة خطأها. لم فعلت ذلك اذن؟ هل هي الغيرة؟ هل سمحت السيدة ماسون لاحساسها المرير بالسيطرة على سلوكها الطبيعي؟ لم تعرف سارة الاجابة، الا انها كما قالت السيدة ماسون لن تفكر بالعودة ثانية الى هناك.

لوح لها هدلي، حارس المنزل، بيده حين مرت السيارة فردت التحية متناسية آلامها للحظات، خاصة وانه لم يعد بمقدورها تغيير اي شيء الآن.

كانت قدماها مبللتين فخلعت حذاءها عند دخولها الصالة. قدم م.ريس للترحيب بها وتناول معطفها قائلاً:

«ان السيد كايل في غرفته يرتاح بعض الوقت، هل تريدين بعض الشاي؟».

«نعم رجاء، هل تستطيع تجفيف زوج الحذاء؟». ثم ناولته اياهما وسارت الى غرفة الجلوس محاولة في الوقت نفسه ابعاد صوت السيدة ماسون عن ذهنها.

ابتسمت اذ وجدت في انتظارها مفاجأة اعدها جي كي : مجموعة اسطوانات حديثة، فاسرعت لاختيار بعضها والاصغاء اليها، ثم رفعت الصوت اعلى ما يمكن محاولة بذلك التخلص من احزانها، وسمحت للموسيقى ان تذيب كل قيودها، اغمضت عينيها ورقصت باسلوب المراهقين الذين راقبتهم طويلاً على شاشة

التلفزيون. كان الصوت مدوياً الى حد لم تسمع صوت وقوف سيارة النسباق السريعة امام المنزل، او حضور اي شخص الى ان استدارت فوجدت جارود مستنداً الى احد الاعمدة مراقباً اياها. كان لا يزال حاملاً معطفه السميك وقطرات المطر تغطي شعره. بدا نحيفاً وطويلاً وجذاباً الى حد اثار الخوف فيها.

وتوقفت سارة فجأة، مدركة حالتها الغريبة: شعرها المتناثر وقدميها الحافيتين اسرعت فأطفأت الجهاز وفجأة ساد الصمت بينهما.

لم يقل شيئاً الا انه واصل النظر اليها والى جسمها ووجهها وللحظات الى شفتيها. تساءلت سارة اذا كان قد نظر من قبل الى لورين بهذه الطريقة فجعلها مسحورة به. استقامت في وقفتها واستدارت فتحرك هو الآخر.

استدار وذهب ليناول معطفه الى هستر والتي كانت مقبلة من المطبخ تحمل صينية الشاي لسارة. تناول صينية الشاي وعاد الى الصالة ليضعها على الطاولة.

«الشاي جاهز يا آنسة سارة...» قال باستهزاء.

جلست وبدأت صب الشاي قائلة:

«شكراً، وهل تريد تناول الشاي يا سيد كايل؟».

هز رأسه رافضاً واشعل سيكارة.

«وكيف حالك؟ يبدو لي انك بدأت اعتبار المكان بيتاً لك».

اقترب ووقف الى جانبها فتساءلت في قرارة نفسها عما اذا كان مدركاً لما يثيره فيها من مشاعر ثم قررت ان الاحتمال مستبعد اذ انها لم تكن بالنسبة اليه غير طالبة مدرسة.

«آسفة اذا كانت الموسيقى قد ازعجتك» قالت بهدوء مرتشفة شايها.

«آه، وهل كانت موسيقى؟» واضاف مستهزئاً «لم ادرك ذلك».
لم ترغب مناقشته وقالت: «لم اسمع السيارة».
«وهل يثير هذا استغرابك؟ هل سررت لرؤيتي؟».
«وهل يتوجب علي ذلك؟».
ابتسم جارود:
«انني وصيك، الست كذلك؟».
«انك العديد من الاشياء». واحنت رأسها مرة اخرى.
«ماذا تعنين؟ ما الذي اخبرك اياه جي كي؟». وبدا عليه الفضول رغم تحفظه.
«نادراً ما نتحدث عنك، وقبل ان تكتشف بطريقة ما اريد اخبارك ان لدي سيارة سباق الآن».
كشر بوضوح الآن «آه، ما هو نوعها؟».
«ترايمف. الا انني لا استطيع قيادتها اذ ما زلت تحت ارشاد المدرب، لذلك لن اشق طريقي بسرعة مجنونة الآن».
«يا له من امر مؤسف. ويا له من لسان سليط. منذ اسبوعين ما كنت تجرؤين على مخاطبتي بهذه الطريقة».
احست سارة باحمرار خديها ثم تساءلت:
«الم اجرؤ فعلاً؟».
هز كتفيه ووضع سيكارته في فمه، ثم فتح زر قميصه العلوي وتخلص من ربطة عنقه. كالعادة، كانت ملابسه ثمينة ومفصلة لتلائمه. وتساءلت سارة عما اذا كانت لورين تعرف عن عودته، وفيما اذا كانت ستأتي لقضاء الامسية معه، وازعجتها الفكرة فادركت بأنها واقعة تحت سيطرته رغم انها لا تراه الا قليلاً.
جلس على كرسي مريح قبالتها وقال:
«ارى ان جي كي اشترى لك بعض الملابس ايضاً». وحين

اومأت برأسها ايجاباً. واصل «ان هذا الفستان يلائمك تماماً».
كان الفستان عسلي اللون ضيقاً، له فتحة جانبية، كان الصدر مطرزاً باللون الأخضر.
واذ رفعت رأسها لاحظته مغمضاً عينيه، فنهضت واقفة بهدوء وارادت الانصراف لتغتسل وتصفف شعرها، الا انه فتح عينيه حالما مرت بجانبه فقال
«هل ستهربين؟».
«كلا، كلا اطلاقاً... ارجو المعذرة اذ اريد الاستحمام وتغيير ملابسي».
«سأراك عند العشاء اذن».
«وهل ستبقى؟».
«الا يحق لي ذلك؟».
«هل ستأتي الآنسة ماكسويل؟».
«كلا، ما لم تكوني قد دعوتها قبل مجيئي».
«كلا، بالطبع لم ادعها» وضغطت سارة بقوة على يديها.
«رائع. ارتدي فستاناً جميلا وسآخذك بعد العشاء الى احدى الحفلات».
وتسارعت دقات قلبها، «حفلة؟».
«نعم حفلة، حيث نلعب ونفوز ببعض المسابقات».
«لا اظن انك تريد مثل هذا النوع من الحفلات. وانت تعرف ذلك».
«كلا، اوافقك الرأي. الا انني اعدك بانها ستكون حفلة رائعة».
«ماذا عن جي كي؟».
نهض جارود واقفاً وقال بحسم:
«سارة، انك وصيتي، اذا احببت ذلك اولاً، واذا ما قلت بأنك

ستأتين الى الحفلة فهذا يعني انك ستأتين».

«حقاً؟» والتمعت عيناها ببريق غريب.

«هل ستأتين؟».

ارتجفت سارة وتركت الغرفة متوجهة نحو الطابق الأول.

اغتسلت في الحمام الفاخر مستخدمة الماء المعطر، غسلت شعرها ثم جففته وانتبهت الى تزايد اهتمامها بسبب قرب حلول موعد الحفلة. وفكرت بأن من السخافة التفكير بهذه الطريقة الا انها لم تستطع التحكم بعواطفها.

بعد ذلك تفحصت ملابسها باهتمام لم تظهره من قبل. واختفت من رأسها صورة السيدة ماسون وكلماتها الجارحة، فاحست لذلك بعرفان الجميل لجارود كايل.

اختارت اخيراً فستاناً من الشيفون الوردي، فتحة الصدر مدورة ومنخفضة، واكمام طويلة، ضيق عند الصدر وعريض اسفل ذلك. كان فستاناً قصيراً من طراز حديث ابرز انوثتها وجمالها. لم تفعل شيئاً لشعرها بل اكتفت بتمشيطه وتركه منسدلاً على كتفيها. واخيراً نظرت الى انعكاسها في المرآة فابتسمت راضية.

كان جي كي وجارود في الصالة الصغيرة حين توجهت الى هناك لانها استطاعت سماع صوتيهما. ولاحظ جي كي قدومها فقام لاستقبالها.

«انك تبدين رائعة، لم ارك ترتدين هذا الفستان من قبل، انه جميل جداً».

ابتسمت سارة باضطراب وسارت معه الى الصالة حيث كان جارود في انتظارهما.

ارتدى جارود بدلة غامقة اللون وكان لتناقض لون شعره وبشرته جمالاً اخاذاً.

ناول سارة عصير ليمون فتناولته منه بيدين مرتجفتين. ابتسم جي كي وعلق:

«يجب ان تذهب الى مكان ما الليلة بهذه الملابس الجميلة».

نظرت سارة باتجاه جارود فاحنى رأسه وقال:

«انها ذاهبة الى مكان ما يا جي كي، ستذهب معي الى الحفلة».

قطب جي كي جبينه:

«ماذا تعني بقولك انك ستأخذها الى حفلة؟».

«اعني ما قلته بالضبط».

استدار جي كي نحو سارة ثم الى جارود مرة اخرى:

«ما الذي تعنيه بأخذ هذه الطفلة معك؟ انها اصغر سناً من ان ترافقك الى اماكنك المعتادة».

وبدا على جارود الضيق واحست سارة بالانقباض في صدرها:

«سأصطحبها الى حفلة عيد ميلاد هوارد لوسون الحادي والعشرين، اذ وعدته بحضور الحفلة منذ عدة اشهر».

«كما وعدت لورين بمصاحبتها الى الحفلة الراقصة ونقضت الوعد بدون اي اهتمام».

«كلا، لم انزعج ولأضف الى معلوماتك، لم اكن ارغب بمصاحبة لورين الى الحفلة».

«لذلك ذهبت الى مونت كارلو مع تريسي ميرك بدلاً من ذلك!».

تحركت سارة بقلق وكرهت جو الخصام العائلي المحيط بها.

«حسناً ذهبت الى مونت كارلو مع فوستر ميرك».

«الم تذهب معكما تريسي؟».

«كلا... ما الذي تريد معرفته يا جي كي؟ هل تريد مني وصف ما فعلت تلك الليلة كي تسمع سارة وتفكر جيداً قبل ان توافق على الخروج معي؟

حسناً، ذهبت الى مونت كارلو مع فوستر توجهنا الى الكازينو وقامرت طوال الليل». انتابت سارة القشعريرة ثم غير جي كي موضوع الحديث:

«هل ستذهبان الى حفلة هوارد اذن؟».

« اذا كانت سارة لا تزال ترغب بالذهاب... هل تظنين بأنك ستشعرين بالأمان في صحبتي؟».

هزت سارة كتفيها ثم تساءلت:

«هل انت متأكد من رغبتك في الذهاب؟».

ضحك جارود بقوة:

«ماذا تعنين بذلك؟ انني غير قادر على امتاع نفسي في حفلة عيد ميلاد صغيرة مثلاً؟».

«لم تقل سارة ذلك؟».

«كلا، بل كانت على وشك النطق بذلك. يا الهي! هل تتصور يا جي كي بأنني ساصطحب سارة الى الحفلة لأنني منجذب نحوها؟».

تراجع جي كي عن موقفه وقال:

«كلا، لا اظن ذلك».

«هذه هي الحقيقة. لا تهمني تلك الناحية. ولنتوقف عن النقاش فوراً. انني الوصي عليها ويحق لي قضاء الوقت معها، اليس كذلك؟».

«بالطبع، حسناً جارود سأصمت. ولكن تذكر كن حذراً في قيادتك السيارة».

فقال جارود بغضب:

«انني قادر على التحكم بسلوكي بدون الحاجة الى نصائحك». ثم غادر الغرفة.

بعد ذلك نظر جي كي الى سارة بقلق:

«هل تريدين الذهاب معه حقاً؟». احنت سارة رأسها قائلة: «نعم».

«ولكن تذكري جيداً من هو وما هو عمره. انك طفلة حساسة ولا اريده ان يؤذيك».

تنهدت سارة قبل ان ترد «لكنك سمعت ما قاله. انه يعاملني مثل ابنته».

«اعرف، اعرف، قد اكون عجوزاً متشككاً. لكنني اعرف مدى جاذبية جارود للنساء، كما اعرف انه انسان وسيلتهم الفريسة اذا كانت سهلة».

«ولكن جي كي، لست حملاً ضعيفاً ولا انوي التصرف كذلك. الا انني ارغب بالخروج الليلة كنوع من التغيير فقط». فتساءل جي كي قلقاً:

«هل تشعرين بالملل هنا اذن؟».

ابتسمت سارة مطمئنة اياه:

«كلا بالطبع. ليس هذا ما عنيته. ما اريده هو الخروج الى مكان جديد. انك تعرف ما اعني اليس كذلك؟».

اجابها جي كي موافقاً وتمنت سارة الا تكون قد دفعته الى التفكير بأنها ناكرة لجميله.

٥ـ وسقطت بين ذراعيه

تنهدت سارة ارتياحاً عند انتهاء العشاء، لم تأكل كثيراً رغم ان الدجاج المشوي كان لذيذاً، والتوت البري في شهر شباط كان فاكهة نادرة. لم ينطق جارود بكلمة الا للاجابة على بعض اسئلة جي كي.

وحالما انتهت الوجبة نهض واقفاً وقال:

«حسناً سارة هل ما زلت راغبة في المجيء؟».

«بالطبع، هل لديك مانع يا جي كي؟».

هز جي كي رأسه نفياً ثم ربت على يدها حين وضعتها على كتفه.

تركت سارة الغرفة لترتدي معطفها حيث قررت ارتداء معطف الفرو لان الجو كان بارداً جداً، كان المعطف طويلاً غطى فستانها كله ووضعت شعرها اسفل الياقة.

كان جارود في انتظارها، فتح باب السيارة لها ثم اغلقه خلفها.

كان الجو ينذر بحلول عاصفة ثلجية. وحين استقرا في السيارة سألت سارة بحذر:

«هل المكان بعيد؟».

ضغط جارود على شفته السفلى للحظة ثم أجاب مترقباً:

«عدة اميال، هل غيرت رأيك ثانية؟».

«كلا، اردت معرفة المكان فقط لا غير».

هز جارود كتفيه ثم بدأ قيادة السيارة بمهارة ونعومة. كان سائقاً سريعاً الا انه كان خبيراً في الوقت نفسه فاستطاعت الاسترخاء معه اكثر مما تفعل مع بوتر. حين اقتربا من الطريق العام قال بعد ان قلل

من سرعته:

«الارض مغطاة بالجليد». تساءلت سارة في نفسها عما سيفعلانه اذا ما اثلجت وانسدت الطرق. كانت ترتدي جزمتها الجلدية وباستثناء معطفها ما كانت ملابسها صالحة للبس في جو عاصف.

كان منزل لوسون خارج قرية اخرى، قرية ملستون، ولاحظا اصطفاف العديد من السيارات خارج المنزل، ولاحظ جارود عصبيتها مرتسمة بوضوح على وجهها فقال:

«لا تقلقي يا عزيزتي، انك جميلة الى حد سيصطف الشباب بانتظار ابتسامة منك».

ورحب الجميع بجارود بحرارة كما لو كان ابن عم مفقوداً بينما اقتادت جينا لوسون سارة الى غرفة السيدات. كانت جينا قصيرة وشقراء واكبر من سارة بعام واحد.

قالت جينا بلهجة ودية:

«لقد احسنت باختيار جارود كوصي، آه كم اتمنى لو كان وصياً عليّ».

ابتسمت سارة ثم تبعت جينا الى القاعة من جديد. قدمت سارة الى السيد والسيدة لوسون، ابنهما المراهق هال، وبالطبع هوارد. ثم تعرفت بعدد كبير من الناس نسيت اسماء معظمهم لقصر الفترة الزمنية. وبدا وكأن حضورها مع جارود له فعل التعويذة السحرية، وبدا الجميع مسرورين لرؤيتها، او على الاقل هذا ما تظاهروا به. وتجاهلت نظرات بعض الفتيات الغيورات اذ كان جو الحفلة ودياً بشكل عام.

كان العشاء مكوناً من اللحوم الباردة وانواع السلطة واخليت الصالة بعد العشاء للرقص.

بعد ان تناولت سارة كأسي عصير مع السيد والسيدة لوسون

نظرت حولها باحثة عن جارود فلم تجده، واذ بدأ الرقص في تلك اللحظة، اقتادت جينا سارة قائلة:

«تعالي، لنذهب هناك. يبدو ان جارود اختفى».

كان بعض الشباب يرقصون على موسيقى مسجل موضوع في الزاوية، الاّ انها لم تر جارود فقالت جينا مبتسمة:

«انه يعتبر نفسه اكبر سناً من ان يشارك في هذه الاجواء لذلك دعونا لورين لتهتم به».

«لورين ماكسويل؟». وصدمت سارة للخبر.

«نعم هل التقيت بها من قبل؟».

«نعم... ولكن...». وتقدم في تلك اللحظة منها هوارد لوسون طالباً الرقص معها، فأومأت سارة برأسها موافقة، وبعد ذلك، ولدهشتها الشديدة بدا وكأن الامسية انقضت بسرعة عجيبة. كان لهوارد العديد من الاصدقاء ارادوا كلهم محادثتها والرقص معها محاولين ربطها بمواعيد معهم لرؤيتها في الايام المقبلة، الاّ انها رفضت عروضهم كلها.

كان هارولد اكثرهم الحاحاً فقضت معظم وقتها راقصة معه. وظهر جارود عند منتصف الليل بصحبة لورين ماكسويل. وبدت لورين متألقة بجمالها الاخاذ واناقتها التي ابرزت مفاتنها.

«اهلاً». قالت لمجموعة من الشباب متفحصة سارة باعجاب:

«هل قضيت وقتاً ممتعاً؟».

نظرت سارة الى جارود وقالت:

«ظننت انك عدت الى البيت، اذ لم ارك منذ فترة طويلة».

تعجبت لورين لجملة سارة وعلقت:

«هل عينته حارساً رسمياً لك؟».

لم يتغير تعبير جارود المتحفظ بل اكتفى بالقول:

«كلا، يا لورين كلا، ما أرادت سارة قوله انها لاحظت غيابي».
وضع جارود ذراعه حول سارة كأنه يحميها:
«اهتممت بسارة طوال الوقت واظن انها تمتعت بالحفلة معنا».
ضحكت لورين وقالت.
«هذا حسن جداً اذن، انها تثلج بكثافة في الخارج، واعتقد انكم ستجدون القيادة خطرة في هذا الجو، الست محظوظة لأني سأقضي الليلة هنا؟».
وأسرع بعضهم الى النافذة لالقاء نظرة على المشهد الابيض في الخارج وقال جارود:
«اظن من الافضل لو بدأنا رحلة العودة من الآن يا سارة».
أمسك هوارد بيد سارة وقال:
«سآخذها الى البيت بنفسي».
«لا تكن غبياً، انها ليلة مزعجة، كما ذكرت لورين منذ قليل. جئت مع سارة وسأعيدها الى البيت بنفسي».
فقال هوارد معاناً:
«دع سارة تختار».
بدأت سارة بالاحتجاج حين أمسك جارود بمعصمها:
«اجلبي معطفك» قال ببرودة متحدياً اياها ان تعصي امره.
خلصت سارة معصمها من قبضته ثم اعتذرت من هوارد وذهبت لجلب معطفها.
ودّعا المضيف والمضيفة ثم سارا نحو سيارة الفيراري الواقفة عند المنعطف. وبدون ان تنتظر مساعدته فتحت سارة باب السيارة وجلست في المقعد الامامي، مسح جارود الواجهة الامامية من الثلج وتأكد من عمل فرشتي المسح قبل ان يدخل السيارة. لم يقل شيئاً بينما لوحت هي لهوارد الواقف عند باب المنزل ملوحاً لها. كان الجو

عاصفاً والثلج يغطي كل شيء.

تنهدت سارة مفكرة بسوء الجو والمسافة الفاصلة بين ملستون ومالثورب، فسألها جارود:

«ما الذي عنيته بسؤالك عن مكاني؟».

استدارت سارة مواجهة اياه لترى وجهه في انعكاس الضوء الخارجي.

«الا يحق لي ذلك؟ اظن بانك اصطحبتني الى الحفلة... لا بد انك تمتعت بحفلتك!».

«احذرك يا سارة بأنني...». ودمدم لاعناً السيارة حين أحس بانزلاقها:

«يا لها من ليلة مزعجة».

«لا بد انك ادركت سوء الجو قبل مغادرتنا، لورين لاحظت ذلك ايضاً. أين كنتما؟ في غرفتها لأنها قررت قضاء الليلة هناك؟».

اوقف جارود السيارة فجأة وبدا الغضب مرتسماً بوضوح على وجهه. فانكمشت سارة في زاويتها مذعورة.

«ان جي كي اجاد تدريبك».

فدمدمت بصوت خائف:

«ما الذي تعنيه؟».

«انك تعرفين ما الذي اعنيه. ولزيادة معلوماتك اقترحت لورين الذهاب الى مقهى قريب هادىء فصاحبتها الى القرية لأن المكان كان مكتظاً بالصبيان».

«لست بحاجة لتوضيح تصرفاتك لي».

«كلا لست بحاجة لذلك. الآ انني لا اريد لذهن مشوش مثل ذهنك ان يتخيل اشياء لا وجود لها، اذ ان لي كبريائي انا الآخر».

«آه، دعنا نذهب الى البيت». فعاد جارود الى القيادة.

لسوء الحظ، لم تتحرك السيارة من مكانها. بل بقيت ثابتة في مكانها رغم محاولاته اليائسة لتشغيلها. وازداد غضبه اشتعالاً مما دفع سارة الى الابتسام بدون تعمد، وحين نظر اليها اخفت ابتسامتها براحة يدها، الاّ انه اكتفى بهز رأسه:

«لا بد اننا مجنونان اذ نناقش في وسط عاصفة ثلجية، بعيدين جداً عن اي مكان مأهول، علي ان ابدأ بدفع السيارة بينما تقودينها انت... هل تستطيعين قيادتها؟».

ترددت سارة مجيبة:

«لست متأكدة تماماً...».

«سأوضح لك ما يجب ان تفعليه» خرج من السيارة فزحفت الى مكانه خلف المقود «لا تحاولي بدء المحرك فجأة والا لتزحلقت خلف السيارة، اتفهمين»؟

اجابته سارة بخبث:

«سأحاول جهدي».

ثم سار باتجاه مؤخرة السيارة، الاّ ان جهده كان عبثاً، ولم تستطع سارة تشغيل السيارة بالطريقة الصحيحة، مما دفعه الى القول:

«هل تستطيعين دفع السيارة؟ اعرف ان الفكرة مزعجة ولكن كل ما في الامر ان السيارة بحاجة الى القيادة الصحيحة».

ضحكت سارة بصوت عال:

«بصراحة، انّ لك افكاراً رائعة... ولكن حسناً دعني اخرج».

وتبادلا مكانيهما وبدأت سارة الدفع بكل قوتها فبدأ التشغيل وفجأة اندفعت السيارة الى الامام بينما وقعت سارة في بركة الماء وغطاها الثلج.

ساعدها جارود على الوقوف الاّ انها كانت مبتلة تماماً وبدأت ترتجف وسألته:

«هل فعلت ذلك عن عمد؟».
حاول جارود ان يضحك مجيباً اياها:
«آسف جداً، كلا بالطبع لم افعل ذلك متعمداً. تعالي لنركض الى السيارة».
«ولكنني لا استطيع العودة الى البيت هكذا اني غارقة بالوحل والماء».
«ستذهبين هكذا لانني لا أحمل معي ملابس احتياطية ولكنني سأعطيك معطفي».
وساعدها على خلع معطفها المبتل بسرعة وارتداء معطفه.
«والآن هل تشعرين بالتحسن؟».
«نعم».
وبدون ان يطلب موافقتها حملها وركض الى السيارة، فجلست مرتجفة بلا توقف، وقاد جارود السيارة باقصى سرعة بدون ان يحاول حتى رؤية الطريق امامه، لاستحالة ذلك. واخيراً وصلا الى مالثورب ووجدا جي كي جالساً في انتظارهما، فحدق بسارة مرعوباً اذ كانت ترتعش من قمة رأسها حتى قدميها، ملتفة بمعطف جارود.
وقف جارود خلفها ثم خطا نحو جي كي قائلا:
«قبل ان تبدأ طرح الاسئلة، سارة بحاجة الى حمام دافىء والذهاب الى الفراش فوراً بعد ذلك، ثم من الافضل استدعاء الطبيب لاندري في حالة حدوث شيء ما».
«لست بحاجة لحضور الطبيب. انني بخير» ومنعها اصطكاك اسنانها من الاعتراض اكثر.
«هل سمعت ما قلته يا جي كي؟».
وحملها جارود بين ذراعيه الى غرفتها، ثم تم استدعاء الخادمة ماري لتساعدها على خلع ملابسها واعداد الحمام لها. وتركها جارود

هناك ولم تره مرة اخرى طوال الليل، رغم انها رأت جي كي والطبيب لاندري.

كان الصباح التالي رمادياً بارداً واحست بحالتها تسوء، وحين جلبت لها ماري افطارها في الساعة الثامنة والنصف وجدتها تتنفس بصعوبة وتسعل بلا انقطاع. واذ جاء جي كي بعد ان استدعته ماري اتصل بالطبيب لاندري طالباً منه الحضور فوراً.

عانت سارة من الاصابة بالبرد الشديد وارتفعت حرارتها ولم تخفف اكياس الماء الحار الموضوعة على جانبيها من تقليل احساسها بالبرودة كانت تعطش وتسعل في الوقت نفسه متناولة انواع الادوية بلا فائدة متمنية ان تنام وتنهض بعد ذلك بصحة افضل.

لاحظت ذات مرة وجود جارود الى جانبها الاّ انه لم يتحدّث اليها، ثم وصل بعد ذلك رجل آخر فحصها بدقة كبيرة قبل ان يضعها تحت اشراف ممرضة، ولم تعلم سارة بانها كانت على وشك الاصابة بالتهاب الرئتين، اذ بقيت تنام وتستيقظ بلا انقطاع، ولم ينقذها من المضاعفات الخطيرة غير العناية الفائقة بها. لم تتكلم ولم تأكل شيئاً، رغم ان هستر واصلت جلب صينيات الطعام آملة ان تتوصل الممرضة الى اقناعها.

وأخيراً انخفضت درجة حرارتها وتخلصت من الحمى، ثم بدأت تستعيد وعيها بما يدور حولها. وفي صبيحة اليوم الرابع احست بالتحسن المطرد واشعرتها الشمس المشرقة بالسعادة لانها لا تزال حية.

وابتسمت الممرضة ماكدونلد بمرح حين قدمت لرؤ ية مريضتها:

«انك تشعرين بالتحسن يا آنسة روبنز. . اليس كذلك؟ يجب ان اعلم السيد كايل بذلك. اذ انه قلق جداً بصددك».

استطاعت سارة الابتسام:

«اي سيد كايل تعنين؟».

«الاكبر سناً بالطبع. انه وصيك اليس كذلك؟».

كانت سارة على وشك الاحتجاج الاّ انها قررت عدم اهمية ما تفكر به الممرضة كما لم تجد القوة اللازمة لاجابتها حتى.

أكلت سارة البيضة ثم غسلت الممرضة وجهها ومشطت شعرها، ليظهر بعد ذلك الطبيب لاندري بصحبة جي كي. جلس جي كي على حافة السرير وأمسك بيدها.

«آه سارة، كم من الرائع رؤيتك في حالة طبيعية، تقول الممرضة انك نمت جيداً وتخلصت من الحمى. هل تعلمين انك كنت على حافة الاصابة بالالتهاب الرئوي طوال الاربعة ايام السابقة؟».

«هل بقيت في هذا الشكل اربعة أيام؟ لا استطيع تذكر الكثير، كل ما اعرفه هو احساسي بالحرارة والانزعاج وصعوبة التنفس». ثم قطبت جبينها متسائلة:

«اين... اين جارود؟».

«عاد الى لندن الليلة الماضية، كان عليه الذهاب، لحضور اجتماع هيئة ادارة طارىء».

«آه، لا اتذكر انني رأيته مؤخراً».

«لعل ذلك احسن؛ ذلك الابلة، كان على وشك قتلك».

«قتلي؟ اوه، كلا، لم يكن ما حدث خطأه. كنت في الحقيقة جالسة على مؤخرة السيارة حين تحركت ووقعت في البركة وتبللت. ذلك كل ما حدث».

«يا لها من سخافة وليس ذلك توضيحاً لسبب وقوفه بالدرجة الاولى، ليدفعك للوقوع في بركة مثلجة».

اعترض الطبيب على اثارة اعصاب مريضته الاّ ان سارة قالت:

«انني على ما يرام يا دكتور واستطيع توضيح الامر لجي كي».

«ما الذي تريدين توضيحه؟ لا بد ان ابني الاحمق كان على وشك التلاعب كعادته».

«التلاعب؟ بي؟».

«لو صح الامر لقتلته» قال جي كي مهدداً بقبضته.

«لا تكن سخيفاً اذ انه لم يلمسني اطلاقاً. كل ما في الامر انه توقف ليقول لي شيئاً ما، بل اتذكر اننا كنا نتجادل كالعادة».

قطب جي كي جبينه «هل هذه هي الحقيقة؟».

«بالطبع الم يخبرك جارود؟».

«نعم اخبرني غير انني لم اصدقه، كما بقي هنا طوال الوقت ليطمئن على صحتك الاّ انني منعته من الاقتراب منك».

«جي كي ارجو ان تصغي لي، انّ جارود لا يراني كما تتوهم واود لو تتوقف عن توهم اشياء لا وجود لها».

بدا على جي كي الخجل لسوء النية مما دفع الطبيب الى القول:

«عليك الذهاب للاتصال به. اخبره ان سارة افضل الآن واعتذر منه لسلوكك وشكوكك».

نهض جي كي وربت على يد سارة:

«هل تعتقدين ان هذا ما يجب ان افعله؟».

«نعم. اذ غالباً ما تسيء الظن به».

«اعرف. ولكنني افعل ذلك لاسباب صحيحة احياناً. فيليب سأتركك مع المريضة».

بعد ان ذهب نظر الطبيب الى سارة مبتسماً:

«يا له من مسكين. انهما متشابهان الى حد لا يستطيع فيه تحمل احدهما الآخر. وجي كي يبني آراءه بناء على ما كان سيفعله لو كان في مكان جارود، وسنه».

جس الطبيب نبضها ثم قالت:

«لا اعتقد ان ملاحظتك صحيحة تماماً».

ضحك الدكتور لاندري قائلا:

«هل تعلمين؟ كان جارود هو من استدعى الاخصائي من لندن رغم عدم موافقة والده، اذ ظن جي كي ان حالتك لا تستدعي ذلك، الا ان جارود كان محقاً، لانني لست اكثر من طبيب عام . . . ولولا حضور الاخصائي ووصفه الادوية الملائمة لما تشافيت بهذه السرعة».

فكرت سارة بما قاله الطبيب رغم انها لم تستعد لونها الطبيعي.

وبقي الجو بارداً ورطباً وفي حالة توقف سقوط الثلج غطى الضباب المنطقة كلها. وكان جي كي قلقاً بصددها خاصة وانها لم تستعد حيويتها المعتادة بل بقيت تدور في المنزل، تقرأ احياناً وتقضي معظم وقتها تستمع الى الموسيقى، الا انها لم تظهر استعدادها السابق للتجول والاستكشاف.

لم يأت جارود الى مالثورب واكتفى بالاتصال هاتفياً بجي كي مستفسراً عن صحة سارة دائماً، الا انه لم يحاول التحدث اليها بنفسه.

اتصل بسارة العديد من الشبان الذين التقت بهم في حفلة هوارد، محاولين الخروج معها الا انها رفضتهم جميعاً. كان هوارد اكثرهم اصراراً وجاء ذات مرة لزيارتها فوجد امامه انعكاساً شاحباً للفتاة الجميلة التي تمتع بالرقص معها. بدا على سارة عدم الاهتمام بكل شيء، كما رفضت دعوته لاخذها الى المسرح في ليدز. فترك المكان منزعجاً ولم تبد سارة اي رد فعل لذلك مما أثار استغراب جي كي، اذ كان يود هوارد وتمنى لو ان سارة اصبحت صديقة له.

بعد مضي شهر على ليلة الحادث، قرر جي كي شيئاً حاسماً، فقد اخبر سارة حين كانا يتناولان العشاء سوية:

«ما رأيك بقضاء اسبوعين في جزر الهند الغربية؟».

دهشت سارا لاقتراحه وحدقت في وجهه:

- «هل تريد الذهاب الى هناك؟ فكرت دائماً بانك تفضل قضاء وقتك في اوروبا».

«ماذا؟ مع الفيضانات في فرنسا وايطاليا والبرودة اللامعقولة؟ كلا، لن تكون اوروبا ملائمة» ثم صمت متأملاً حساءه قبل ان يضيف:

«ثم انني لم أفكر باخذك هناك بنفسي، خاصة وان فيليب رفض السماح لي بالسفر قائلا بان وضعي الصحي لا يسمح بذلك».

«كيف اذن؟... جي كي، لن احب الذهاب لوحدي».

تنهد جي كي مرة اخرى:

«اعطني الفرصة لأوضح لك. ما عنيته هو ألاّ تسافري لوحدك، ثم لو كنت ستسافرين لوحدك لكان بامكانك البقاء فترة اطول، لكن فترة اسبوعين هما كل ما يستطيع جارود عرضه الآن».

«جارود!». وفتحت سارة عينيها على سعتهما «جارود؟ وما علاقة جارود بالمسألة؟».

«كل شيء، كانت الفكرة فكرتي الاّ انه سيتحمل مسؤولية السفر».

«كلا، كلا، لا اريد الذهاب مع جارود الى اي مكان، ثم انني لا اعتقد انه سيكون متحمساً للفكرة».

«لا علاقة لحماسة جارود بالموضوع بما سيفعله تكفيراً عن غلطته بصددك».

«وهل تحدثت مع جارود بصدد ذلك؟».

«بالطبع».

هزت سارة كتفيها يأساً:

«ولم فعلت ذلك بدون ان تخبرني؟».

حسناً، لانك تثيرين قلقي، اذ تقضين معظم وقتك في المنزل وتوقفت عن اخذ دروس قيادة السيارة، ورفضت الذهاب الى المسرح مع هوارد وتبدين في حالة مؤسفة.

اعتقد انه اضافة الى مرضك فانك بدأت تفتقدين جدك اكثر من اي وقت مضى، لذلك سيفيدك تغيير الجو».

هزت سارة رأسها اذ قدمت لها هستر السمك المدخن:

«كل ما حدث كان نتيجة لمرضي الاخير، وانا الآن بخير».

«قد يكون ما تقولينه صحيحاً. الاّ انني اعرف بان الجو مزعج والعيش مع رجل عجوز مثلي ليس امراً مثيراً، كلا انك بحاجة الى تغيير الجو، وجامايكا بلد جميل».

«جامايكا؟».

«بالطبع. وستبقين مع والدة جارود. اذ ستستاء هيلين اذا علمت بذهاب جارود هناك وبقائه في مكان آخر. ثم ان في بيتها حمام سباحة خاصاً والجو رائع في هذا الوقت من العام».

احست سارة بتزايد اهتمامها رغماً عنها. وفكرت بأن قضاء أسبوعين مع جارود فكرة جميلة ومثيرة للاضطراب في آن واحد، اذ ان بقاءها لوحدها معه ولفترة طويلة قد يثير من جديد، في داخلها مشاعر تحاول قمعها. لم تعرف لم احست بذلك، رغم ان جارود لم يبد بها اي اهتمام اطلاقاً اذ لم يكن العكس هو الصحيح حيث جعلها تحس بانها عبء ثقيل عليه.

الاّ أن البقاء مع امه امر مختلف وارادت ان تلتقي بالمرأة التي كانت زوجة جي كي.

«حسناً، ما رأيك الآن؟».

«لا ادري».

«هل تريدين الذهاب؟».

تحركت سارة في مكانها:

«هل يريد جارود الذهاب؟ لعل هذا هو السؤال الاهم».

«اي اعتراض يبديه جارود هو اعتراض اناني ولا تقلقي بصدده. والآن حاولي انهاء عشاءك».

بعد العشاء وصل الدكتور لاندري ليلعب الشطرنج مع جي كي وبعد ان قضت سارة معهما فترة قصيرة تركتهما لوحدهما وتوجهت الى غرفة المكتبة حيث حاولت التركيز على كتابها بدون جدوى.

كان ذهنها منشغلاً بمشكلة السفرة الموعودة الى جامايكا. وكان من حقها ذلك اذ ان فكرة الابتعاد عن الرطوبة والبرد وقضاء اسبوعين تحت اشعة الشمس قادرة على اثارة اي انسان. الاّ انها تمنت لو ان جي كي سألها قبل سؤال جارود. وتمنت لو كانت موجودة معهما لرؤ ية رد فعله الحقيقي. لكن من الظاهر ان كل شيء تم تلفونياً، اذ لم يزرهما جارود منذ عدة اسابيع.

دخلت غرفة المكتبة واغلقت الباب خلفها. كانت النار متوقدة والغرفة دافئة. واذ نظرت الى التلفون الموضوع على الطاولة الصغيرة خطرت في بالها فكرة الاتصال بجارود والتحدث اليه شخصياً وسؤاله عن رأيه بالرحلة لتكتشف بنفسها ما يفكر به فعلاً.

نظرياً، كانت الفكرة بسيطة ومعقولة. عملياً، ارتعش صوتها وهي تطلب الرقم واهتزت يداها عند اصغائها لرنين جرس التليفون.

وانقضى زمن طويل قبل ان يرفع السماعة احد وبدأت تشعر بالارتياح اذ لا بد انه غير موجود في الشقة، ثم رفعت السماعة وأجابها صوت امرأة. ظنت سارة اولاً بان الرقم خطأ. الاّ انها ادركت من الضجة وصوت الموسيقى ان المكان يعج بالمدعوين ولا

بد ان تكون المرأة احدى السكرتيرات الا انها سمعتها تخاطب شخصاً آخر قائلة:

«لا ادري يا عزيزي اذ لم اتحدث الى احد بعد... ربما كانوا يتصلون من احد التلفونات العمومية ولم يجدوا النقد الملائم».

ابتلعت سارة ريقها وارتعشت اكثر حين سمعت صوت جارود متسائلاً:

«من هذا؟».

«سارة...».

«من؟ سارة؟ هل حدث شيء؟ ماذا جرى هل والدي مريض؟».

«كلا يا سيد كايل، ان جي كي بخير».

وتلعثمت سارة واحست بموقفها الصبياني، ثم تساءلت في قرارة نفسها عما اذا كانت المرأة الاخرى تنصت الى حديثهما.

«ماذا تريدين اذن يا سارة؟».

«اردت ان اتحدث اليك، ولكن على انفراد».

«سارة. لدي حفلة الآن، ولا استطيع اطلاقاً الحديث اليك لفترة طويلة».

وكان صوته يدل بوضوح على تبرمه. وبدا وكأن كلماته اثارت البرود في سارة والرغبة في الدفاع عن نفسها:

«حسناً يا سيد كايل. آسفة لازعاجك. تصبح على خير».

ثم اعادت سماعة الهاتف الى مكانها.

احست بعد ذلك بالأسف، اذ كان جارود يهتم بضيوفه ولم يكن من المعقول ان يترك ضيوفه ليتحدث اليها، الاّ انها تذكرت بروده ونفاد صبره فهزّت كتفيها بلا مبالاة وتقدمت لتجلس قرب النار، مقررة ان عليها الانتظار الى ان يقرر زيارتها في مالثورب.

ذعرت حين رن جرس الهاتف. نهضت فوراً للاجابة الاّ انها ترددت. قد يكون جارود، واذا كان هو فانها لم ترغب بالحديث اليه ولم تجد القوة اللازمة للدخول في جدال طويل معه.

توقف الرنين فادركت ان موريس او احد الخدم رفع السماعة. استرخت في مقعدها مفكرة بان عليها الاحساس بالسعادة والقناعة لانها تعيش في مكان كهذا بدون هم، الاّ انها لم تستطع التخلص من انزعاجها لفكرة السفر مع رجل يعتبرها عبئاً عليه.

فتح موريس باب الغرفة ووقف عند الباب قائلا:

«اعذريني يا آنسة لكن السيد جارود يريد محادثتك تلفونياً... هل تريدين الرد عليه هنا؟».

«حسناً يا موريس. هل ذكر سبب اتصاله؟ هل انت متأكد بانه يريد التحدث الي وليس مع جي كي؟».

«انه يريدك انت يا آنسة».

«حسناً، حسناً، شكراً جزيلاً».

ورفعت سارة سماعة الهاتف بعد ان انسحب موريس:

«هالو، سارة روبنز تتحدث».

«سارة لا تقطعي المحادثة التلفونية مرة اخرى معي».

ارتجفت سارة رغم دفء الغرفة وقالت معترضة:

«لكنني لم افعل ذلك. كان من الواضح انشغالك بالضيوف فلم ارغب بازعاجك اكثر».

«هراء. في اي حال انا الآن لوحدي فاخبريني ماذا تريدين؟».

تنفست سارة بصمت قبل ان تجيب:

«لا اريد شيئاً اطلاقاً. اردت سؤالك عن شيء ما الاّ انني ادركت غبائي، فلم يكن الوقت ملائماً. ليس الامر مهماً».

وبدا ان جارود يبذل جهداً كبيراً ليسيطر على غضبه:

«سارة، لن اسألك مرة اخرى: اريد ان اعرف سبب اتصالك بي الآن؟».

«حسناً، انه بصدد السفر الى جامايكا».

«ماذا عنها؟».

«انك لا تريد مصاحبتي الى هناك».

«هل قال جي كي ذلك؟».

«كلا، بل اخمنه انا».

«هل خطر ببالك ذات مرة ان محاولاتك الغبية لتخمين رأيي قد تكون خاطئة؟».

«ما كان على جي كي بحث المسألة معك بدون أخذ رأيي اذ لدي الاحساس بأنني مدينة لك بشيء».

ضحك جارود وقال بخشونة:

«الست مدينة لي الآن؟ الا تجعلك خزانة ملابسك، سيارتك، ووضعك الحالي، تشعرين بأنك مدينة لي؟».

احست سارة بغصة في بلعومها وتمتمت:

«يا له من اتهام فظيع: كيف تقول هذا؟ كيف؟» وبأصابع مرتجفة وضعت سماعة الهاتف في مكانها، وجلست محدقة في الهاتف. انها لم تشعر من قبل بهذا الازدراء موجهاً اليها، وبالعزلة، حتى خلال الايام الاولى التي تلت وفاة جدها. كانت تعلم بان جارود قاس وساخر الآّ انه لم يتصرّف معها بمثل هذه القسوة من قبل.

ورن جرس الهاتف مرة اخرى وعاد موريس ليخبرها ان جارود يريد محادثتها، هزت رأسها رافضة. كلا لن تتحدث اليه مرة اخرى.

غادر موريس المكان بعد لحظات ثم عاد ثانية وبدا عليه القلق:

«ألن تتحدثي الى السيد جارود رجاء؟ انه يصر في طلبه».

«كلا، كلا، اخبره انني ذهبت الى النوم».

تنهد موريس واغلق الباب خلفه، ولكن بعد وقت قصير انفتح الباب مرة اخرى وكان القادم هذه المرة جي كي، كان مقطب الجبين وتنهدت سارة بعمق.

«كنت تتحدثين مع جارود، هل اتصل بك؟».

«نعم وعلى الاقل، افترض انك تعرف كل شيء الآن... كلا انا اتصلت به اولاً».

«لماذا؟».

«اردت سؤاله عن الرحلة الى جامايكا. اذ عرفت بانه لم يرغب في مصاحبتي. انه مشغول بحياته هنا الى حد لا يستطيع معه مرافقة مراهقة حمقاء الى جزر الهند الغربية. ثم اتصلت به وكان مشغولاً بحفلة خاصة في شقته ولم يرغب الحديث الي، فشكرته واعدت السماعة الى مكانها فجن... هذا كل ما حدث».

«هذا كل ما حدث؟ اليس هذا كافياً؟ يا الهي... وماذا جرى لعقلك لتحاولي الاتصال به الليلة؟ كنت اظن انك تعرفين طبيعته وتقدرين بانه ليس انساناً يتقن فن المجاملة».

«مجاملاً؟ كان فظيعاً، فظيعاً جداً» وغطت وجهها بيديها وبدأت البكاء بعصبية، وتساقطت دموعها بغزارة.

«آه يا عزيزتي، لا تبكي رجاء. مهما كان ما قاله، اعلمي بانه لم يعن ذلك».

«اظن انني اكرهه».

«لا تكوني حمقاء. ما الذي قاله في اي حال؟».

«قلت بانني لا أريد ان اكون ممتنة له لأخذي الى جامايكا وقال بانني... انني يجب ان اكون ممتنة ومدينة له بكل شيء».

ابدى جي كي انزعاجه ثم قال:

«سارة، اظن ان ما قاله صحيح الى حد ما، ولكن هل قال بانه يريد التخلص من مسؤوليته؟».

أجابت سارة ببطء:

«كلا».

«حسناً، اذن هذا هو المهم».

«كلا ليست المسألة بهذه البساطة».

وسحبت منديلها من جيبها لتجفف دموعها.

«انه ليس بحاجة للنطق بذلك اذ انني اعرفه...».

فاجابها جي كي بصراحة:

«اعتقد انك متوهمة تماماً. تعالي معي الآن وراقبي الدكتور لاندري محاصراً، اذ انني على وشك الفوز عليه».

وابتسم جي كي مشجعاً اياها فتبعته الى الغرفة الثانية، الا انها كانت لا تزال مضطربة في اعماقها.

٦- ليلة في بيته

سمعت سارة في وقت متأخر تلك الليلة، واذ كانت متمددة في سريرها الفخم توقف سيارة امام باب المنزل. واحست فجأة بالحياة تدب في جسدها اذ لا بد انه جارود، فمن سواه يأتي في مثل هذا الوقت المتأخر؟ وانتابتها رعشة غريبة. لم عاد بهذا الشكل المفاجىء؟ هل تحدّث مع جي كي؟ واذا كان الامر كذلك، ما الذي قيل بينهما؟

ارتدت الروب الموضوع عند سريرها واحست بالحاجة لمعرفة ان القادم هو جارود نفسه وان تراه لتتأكد من وصوله.

فتحت باب غرفة نومها وخرجت الى الممر ثم سارت ببطء الى مكان تستطيع فيه رؤ ية الصالة بوضوح. كان هناك ضوء خافت ينير الصالة وسمعت سارة صوت الريح في الخارج بينما ساد الصمت ارجاء المنزل، ثم سمعت صوت باب السيارة ينفتح وبعد لحظات دخل جارود المنزل، مرتدياً بدلة غامقة اللون ومعطفاً مناسباً معها، واضطربت سارة لمرآه فادركت ان مشاعرها تختلف عن الكراهية.

طوال حياتها لم ترغب من قبل لمس رجل، ولم تجرب معنى الاحاسيس المادية كما لم تتصور حتى في احلامها، انها ستنجذب الى رجل يبلغ عمره ضعف عمرها. الاّ انها لا تستطيع انكار ذلك الآن، خاصة بعد رؤ يتها له. لم تكن تحبه، كلا، اذ ان الحب يختلف، انه عاطفة رقيقة ودافئة تختلف عما تحس به نحوه من رغبة مجنونة. انها تدرك الآن، على الاقل، ما تعانيه لورين في علاقتها به خصوصاً مع علمها بعلاقته الاخرى مع تريسي ميرك، اذ انه رجل تعلّم ارضاء

شهواته بدون الارتباط جدياً بامرأة ما.

استدارت سارة لتعود الى غرفتها بعد ان لاحظت توقف جارود لالقاء نظرة على كومة الرسائل الموجودة على المنضدة بانتظاره، كلا ستحاول جهدها التخلص من فكرة وجوده ومن احاسيسها، انّ ما حدث لها امر سخيف ولن تسمح له بأن يعكر صفو حياتها.

لفت روبها حول جسدها باحكام وتحركت بضع خطوات، الاّ انها كانت متأخرة اذ اكتشف جارود وجودها هناك، وصعد السلم بسرعة ليقف امامها قائلا:

«مساء الخير يا سارة، من الرائع ان اجدك واقفة في انتظاري!».

«لم اكن في انتظارك، اعني... اعذرني». وسارت محاولة العودة الى غرفتها الاّ انه منعها قائلا:

«لا تذهبي، لم ننه محادثتنا بعد».

«لا نستطيع مناقشة اي شيء الآن. دعني اذهب رجاء، اذ لا داعي لايقاظ والدك بسبب صراخي طلباً للنجدة».

«وما الذي يدفعك للاعتقاد بانني سأفعل شيئاً يدفعك للصراخ طلباً للنجدة؟».

واحس جارود بجمالها وجاذبيتها اذ وقفت هناك متناثرة الشعر، مرتدية روبها المنزلي وزاد هذا من غضبه وتعبه لرحلته السريعة من لندن الى مالثورب.

«لا شيء، لا شيء...». احست سارة بانفاسه تحيط بها، بحرارة جسمه وعطره وهو على وشك ملامستها، اضافة الى ذلك لم تكن قد استطاعت التخلص من مشاعرها الخاصة نحوه منذ لحظة دخوله المنزل.

وفقدت رغبتها في الهرب منه وتساءلت في قرارة نفسها عما سيحدث اذا ما اقتربت منه اكثر لتجعله يحس بوجودها.

كان جارود واعياً لما اثارته اللحظة بينهما. واصبحت نظراته دافئة ومثيرة وكان ارتجاف شفتيه دليل عواطفه. رفع جارود يده ولمس خصلات شعرها ولم يتوقف للحظة عن التحديق في وجهها فدمدمت هامسة اسمه، وبدا كأن ذلك دفعه لاستعادة وعيه فابتعد عنها مسرعاً وقال:

«عودي الى فراشك يا سارة». نظرت اليه بصمت بدون ان تتحرك فقال غاضباً:

«بحق السماء يا سارة، عودي الى غرفتك قبل ان اغير رأيي».

نظرت باتجاهه عدة لحظات ثم عادت الى غرفتها، اغلقت الباب خلفها وتوجهت مباشرة الى المرآة لترى انعكاسها مواجهاً اياها. فكرت بانها لن تنسى ما فعلته ابداً، وانها لن تغفر لنفسها موقفها المخزي.

حين نزلت صبيحة اليوم التالي لتناول الافطار، بدا عليها التعب بوضوح الى حد ان جي كي لاحظ ذلك فقطب جبينه متسائلاً:

«الم تستطيعي النوم؟».

«كلا، اذ كانت الريح قوية».

بدا على جي كي الشك ثم قال صاباً لنفسه قدح قهوة آخر:

«جاء جارود الليلة الماضية».

سيطرت سارة على نفسها بصعوبة قائلة:

«آه، صحيح؟، هل كنت تعلم بقدومه؟».

«كلا، رغم انني ظننت انه قد يأتي بعد جدالك معه تلفونياً. ربما اراد الاعتذار وهذا سيمنحنا الفرصة الافضل لمناقشة تفاصيل الرحلة. اظن انه من الافضل لكما بدء الرحلة عند نهاية الاسبوع».

«نهاية هذا الاسبوع؟ لكن هذا غير ممكن».

«لم لا؟ جوازك جاهز منذ عدّة اسابيع، ولا شيء يمنعك من

السفر. كما ان جارود يعرف بقرب موعد المغادرة».

فارقت سارة شهيتها وقررت ان ليس في مستطاعها السفر مع جارود، ليس الآن على الاقل. احتاجت بعض الوقت للتفكير ولاستجماع عواطفها المشتتة ولتمنع نفسها من ارتكاب المزيد من الحماقات.

«اين جارود؟».

«غادر الساعة السادسة والنصف صباحاً، واظن انه سيتناول افطاره مع عائلة ماكسويل».

«آه» واتمت تناول عصير البرتقال «ما الذي قاله؟».

«لا شيء، لماذا؟». وتفحصها جي كي بعينيه الحادتين «لا بد انه لم ينم جيداً الليلة الماضية، حيث وصل بعد منتصف الليل، ثم غادر مبكراً. ربما كان ضميره يؤنبه...».

شكّت سارة بذلك خاصة بعدما حدث الليلة الماضية، واذ لاحظ جي كي احمرار وجهها قال:

«لا تدعي جارود يؤذيك، لسانه السليط هو سلاحه كله».

«هل تعتقد ذلك؟ كم اتمنى لو انك لم تقترح الرحلة الى جامايكا، انها ستكون مستحيلة».

تنهد جي كي وقال:

«افهميني يا سارة، انك سترحلين مع جارود فقط، وحين تصلان ستقضين معظم وقتك مع هيلين وستهتم بك، ثم ان جارود يحب جامايكا واراهنك بانك ستجدينه افضل بكثير حين يكون بعيداً عن تأثيري».

سمعا صوتاً بارداً وساخراً يقول:

«انك مصيب في قولك يا جي كي. يا له من حديث شيق».

«لا تهزأ الى هذا الحد يا جارود. اين لورين؟ ظننت بأنك ستتناول

الافطار معها؟».

جلس جارود وصبّ لنفسه قدح قهوة:

«لم ار لورين ولم اذهب لرؤيتها، اذ فضلت وحدتي هذا الصباح».

ثم نظر الى سارة فاحنت رأسها متجنبة النظر اليه:

«هل اصبحت تقودين سيارتك هذه الايام؟».

«كلا».

«لم تفعل سارة اي شيء منذ مرضها واعتقد انني ذكرت لك ذلك عدة مرات، انها ليست بصحة جيدة، او على الاقل انها لم تستعد نشاطها بعد ان قضت فترة طويلة طريحة المرض. لذلك طلبت منك اخذها الى جامايكا».

تفحص جارود رأس سارة المنحني وسألها:

«ما رأيك بالموضوع يا سارة؟».

«كما اخبرتك الليلة الماضية. لا أرغب في ازعاجك اطلاقاً. قد ابدو شاحبة ومتعبة، الاّ انه ما ان يتحسن الجو سأشعر بالحياة تدب في اطرافي من جديد».

«كلا، لن تتحسني بالسرعة الكافية. جارود اخبرها بانك ستأخذها الى جامايكا بدون اي ازعاج ولا تجعل الطفلة تعاني بهذا الشكل».

«ولكن، هل قلت انا ذلك؟ هل قلت بأنها مصدر ازعاج؟».

«يبدو لي انك قلت ما فيه الكفاية انك مشغول بقضاياك الخاصة الى حد لا تهتم فيه باي شخص آخر».

«اوه رجاء، لا تتجادلا من اجلي، اذ اخبرتكما انني لا اريد الذهاب».

وعندما قامت عن مقعدها، نهض جارود ايضاً وخاطبها بنعومة:

«بالطبع ستذهبين، حيث تم اجراء الترتيبات اللازمة، إتصلت هذا الصباح بوكالة السفر في لندن وشرحت لهم ما اريد».

حدقت سارة في وجهه:

«انها التاسعة والربع الآن وما كان في امكانك الاتصال بالوكالة قبل التاسعة».

ضحك جارود لسذاجتها:

«عزيزتي سارة، حين يكون العميل مديراً لمؤسسات كايل، فانه مدير الوكالة، روبرت ليتون مستعد لفتح مكتبه في الساعة الثانية صباحاً اذا ما طلبت منه ذلك».

«انك واثق من نفسك الى حد الغرور اليس كذلك؟ ولا تصدق بأنني قد لا أحب السفر معك».

«بصراحة، كلا، ليس لانك تحبين صحبتي، ولكن لأنك تحبين السفر كما اخبرتني من قبل ولن تدعي هذه الفرصة تفلت منك».

«جارود توقف رجاء. انها ليست نداً لك ولا تملك لسانك السليط، اتركها رجاء. قلت بانك اجريت اللازم؟».

«نعم وسيأتي ماث معنا».

«ماث؟ لماذا؟».

«لأنني قررت ذلك».

«ومتى اتخذت قرارك هذا؟».

«هذا الصباح. . الديك اعتراض؟».

تنهدت سارة. من هو ماث الذي يتحدثان عنه؟ ولم ستسافر معهما الى جامايكا؟ هل لذلك علاقة بسلوكها الليلة الماضية؟

بدا وكأن جي كي احس باتجاه افكارها فقال:

«انه جون ماثيوز وندعوه ماث، انه مساعد جارود الشخصي وصديقه. انه لطيف وستحبين صحبته. جارود هل ستأخذان

الطيران المباشر؟».
«كلا، سنغادر يوم السبت ونقضي الليلة في نيويورك، ثم نستقل الطائرة الى كنغستون عصر يوم الأحد».
«وما الذي تود عمله في نيويورك؟ لا اظن توقفك سيحدث بمحض الصدفة؟».
«سألتقي بجفرسون مساء يوم السبت في نيويورك».
«جارود، تذكر بان الرحلة ليست للعمل».
«جي كي، انني اتصرف بالطريقة التي اختارها لنفسي، لا تحاول فرض شروطك علي لأنني لن اصغي لها اطلاقاً».
«اتمنى لو تطلعني احياناً على طرقك الخاصة».
ابتسم جارود «هذا ما ظننته، ولا بد ان سارة تشعر بالطريقة ذاتها... ولكن لا اظن الوقت والمكان ملائمان لمناقشة تفاصيل شخصيتي». واذ لاحظ توجه سارة نحو باب الغرفة قال:
«سارة، هل ستكونين مستعدة خلال ثلاثة ايام؟ ستأتين الى لندن مع بوتر يوم الجمعة وتستطيعين قضاء الليلة في شقتي. سأطلب من تريسي البقاء هناك معك، ليكون كل شيء على ما يرام».
«حسناً جارود، سأشرف على هذه التفاصيل بنفسي».
تنهدت سارة اذ بدت عاجزة عن الاختيار، ثم ان ماث سيأتي معها مما سيجنبها البقاء وحدها مع جارود.
«اريد الذهاب لغسل شعري».
«هل انت منزعجة؟».
«كلا، بالطبع كلا».
«جيد لأنني سأسافر اليوم واكره ان اراك منزعجة مني».
«لا اظن ان رأيي بك سيغير شيئاً».
ولم تستطع تصديق ان جارود الساخر الهازىء دائماً هو ذاته من

نظر اليها برقة ولمسها الليلة الماضية. كلا ما كان ذلك ممكناً.

واذ غادرت الغرفة قال جارود:

«سأراك عند الغداء او عصر يوم الجمعة».

«حسناً» اجابته سارة واحست بالتعب فلم تستدر للنظر اليه. كل ما رغبت فيه هو الابتعاد عنه لتفكر بهدوء.

كانت بناية فيتورا مؤلفة من مجموعة شقق يسكنها رجال اعمال، وبعض نجوم التلفزيون حيث يعيشون في مكان منعزل، بعيدين فيه عن ضغوط العالم الخارجي. وكان حارس البناية يقظاً لمراقبة كل قادم.

بدا المكان لسارة بارداً ورغم دفء الامسية، ارتجفت لسبب لا تعرفه.

وحمل بوتر الحقائب الى الشقة وقرع الجرس. والقت سارة نظرة أخيرة على بدلتها البرتقالية الآن وتمنت لو انها بقيت في مالثورب.

كان اسم كايل محفوراً على باب الشقة وبحروف ذهبية اللون.

«ها نحن اخيراً يا آنسة، اتمنى لك قضاء رحلة سعيدة في جامايكا. انني احسدك على ذلك».

وابتسمت سارة قائلة:

«صدقني يا بوتر اتمنى لو استطيع استبدال مكاني معك».

بدا على بوتر الذهول فظنت بأنه ما كان من الملائم قول ذلك له، الّا ان بوتر كان اكثر من مجرد سائق ولا بد انه علم انها غادرت المكان آسفة لترك جي كي لوحده، ومن العجيب انها لم تشعر بالطريقة ذاتها مع جدها، بينما احست بانها ستفتقد جي كي والاحساس بالامان الى جانبه. بعد لحظات من تركها اياه وتمنت لو استطاعت العودة راكضة اليه لتستعيد ثقتها بنفسها.

وفتح رجل باب الشقة فقال بوتر موضحاً لسارة:

«انه هاستنفز واوما برأسه قائلاً:

«آه، نعم». كان يشبه موريس ثم اكتشفت سارة بعد ذلك بانه احد اقرباء موريس.

«ادخلي يا آنسة. ان السيد جارود غير موجود الآن الا ان الآنسة ميرك في انتظارك».

وبدأ قلب سارة يدق بعنف. ها هو عائق آخر امامها، وتمنت لو ان جارود ترك لها فرصة البقاء وحدها في الشقة. الا ان عليها لقاء صديقة اخرى له، نسخة اخرى من لورين ماكسويل مستعدة للسخرية منها.

تركها بوتر عند مدخل الصالة المؤثثة كغرفة الطعام ثم ساعدها هاستينفز على خلع معطفها واقتيادها الى غرفة الجلوس.

تبعت سارة هاستينفز حيث نزلت درجتين الى غرفة الجلوس واخبرها بان الآنسة ميرك ستريها غرفتها فيما بعد. ثم فتح باباً جانبياً الى غرفة اخرى طويلة مؤثثة كانت الاضاءة خافتة واللوحات المعلقة على الجدران جميلة جداً. وكان احد الجدران زجاجياً ومغطى بستارة سحبتها سارة فيما بعد فانسحرت لمشهد رائع لمدينة لندن.

كانت هناك فتاة تحاول تثبيت الصورة في جهاز التلفزيون، نهضت واقفة عند دخولها. كانت طويلة ونحيفة وذات اناقة ملحوظة:

«اهلاً سارة» قالت مبتسمة بحرارة «انا تريسي ميرك، هاستينفز هل تستطيع جلب بعض الثلج لنا؟».

«اوما هاستينفز برأسه وغادر الغرفة. ذهلت سارة لمرآى تريسي ثم ابتسمت لترحيبها الحار.

اجلسي الى جانبي يا سارة، واخبريني عن نفسك. قال جارود انك في السابعة عشرة، هل هذا صحيح؟ انه أمر رائع، حين ستكونين في عمري ستلاحظين ان الخامسة والعشرين سن متقدمة».

استرخت سارة وفقدت حذرها السابق. لم تكن تريسي تشبه لورين، بل كانت طيبة ودودة وواضحة السلوك.

احتجت على قول تريسي: «ان سن الخامسة والعشرية لا يعني العجز؟».

«اشعر احياناً بأنني عجوز. ان الرجال محظوظون اكثر من النساء اذ لا يبدو عليهم تقدم العمر بوضوح مثل النساء، والرجل في الثلاثينات اكثر اثارة من المرأة في العمر نفسه. متى ستبلغين الثامنة عشر؟».

«خلال العشرة ايام المقبلة. لقد مرّ الوقت بسرعة لا استطيع التصديق الآن».

«سيكون في بداية نيسان اذن، سأكون في السادسة والعشرين حينئذ. لنتوقف عن الحديث عن العمر الآن، هل تتطلعين بشوق للذهاب الى جامايكا؟».

ترددت سارة ثم قالت:

«نعم ولكنني اتمنى او كان في مقدرة جي كي الذهاب معي».

«من. آه، انه والد جارود. لماذا؟ الا تودين جارود؟».

«نعم، لكنني واثقة من انه لا يريد الذهاب معي بل يفضل البقاء مع اصدقائه هنا، وخاصة معك».

«اؤكد لك بان جارود يلتقي بنا بما فيه الكفاية انه صديق والدي لذلك يقضي معظم الوقت في منزلنا. تعرفت به منذ كنت في عمرك وانا مولعة به. انه افضل صديق لي. وانا متأكدة بانك ستتمتعين بصحبته في جامايكا. اقنعيه باخذك للغوص، انه رائع في هذا المجال».

كان حديث تريسي معبأ بكلمات رنانة مثل رائع ولا مثيل له، حتى بدأت سارة تفكر بأن سلوكها لا يتناسب مع عمرها. الا انها

كانت ودودة مما ساعد سارة على التخلص من ضيقها وحرجها. وبقيتا تتحدثان مثل صديقتين حيث اخبرتها سارة عن حياتها مع جدها وعن حياتها مع جي كي، ثم سمعتا صوت الباب معلناً عن قدوم جارود. احست سارة بخيبة الامل بينما نهضت تريسي واسرعت نحوه لترحب به، كاشفة بسلوكها عن احاسيسها نحوه.

كان جارود لا يزال في الصالة وعلى وشك خلع معطفه. وسمعته سارة يقول:

«كلا، ليس الآن. هل وصلت سارة؟».

«آه جارود، انك شخص كريه. نعم سارة موجودة هنا، وقضينا وقتاً ممتعاً سوية».

واجبرت سارة نفسها على البقاء في مكانها رغم رغبتها في الهرب باقصى سرعة.

نظر جارود متفحصاً سارة، مأخوذاً بمظهرها الجذاب:

«حسناً يا سارة، هل انت مرتاحة؟ ما رأيك بشقتي؟».

«انها جميلة..».

«يا له من ثناء. هل سمعت ذلك يا تريسي؟ الطفلة تحب المكان».

«انها ليست طفلة يا جارود، اذ ستكون في الثامنة عشر بعد عشرة أيام حين ستكونان في جامايكا تتمتعان بالشمس».

قطب جارود جبينه:

«صحيح، سأحاول تذكر ذلك الموعد».

«يجب الاّ تزعج نفسك». دمدمت سارة آملة الاّ يسمعها، الا انه رفع رأسه غاضباً فعلمت بانه سمع كل حرف نطقت به.

بعد ان تناولوا العشاء سوية قال جارود لسارة:

«من الافضل لو نمت مبكرة الليلة، اذ يجب علينا التوجه الى المطار

في السابعة صباحاً».

تساءلت تريسي عند سماعها جملته:

«وهل ستنام مبكراً؟».

فكرت سارة بعدم احتمال ذلك، بل كان عليها مغادرة الغرفة لترك جارود وتريسي لوحدهما، الآ انها لم تكن مصيبة في رأيها.

«كلا، يجب ان اتوجه للقاء مات، اذ علينا اعداد بعض الاشياء، في كل حال لا اظن الذهاب الى الفراش مبكراً سيؤذيك يا تريسي».

بدا على تريسي الهم لاول مرة فقالت:

«لست طفلة يا جارود. هل استطيع مرافقتك؟ انا متأكدة بأن عملك لن يستغرق وقتاً طويلاً. ثم ان سبب بقائي هنا بالدرجة الاولى سخيف جداً. ان جي كي فقط، قادر على التفكير بهذه الطريقة، اذ انك تبلغ من العمر ما يؤهلك لأن تكون والداً لسارة ولا ادري لم لا يثق بك».

«انه لم يقل شيئاً كهذا. ان حضورك هنا فكرتي الخاصة. اذ لا اريد مس سمعة سارة بسوء لمجرد بقائها معي في الشقة».

«لم تخدش سمعتها لبقائها معك؟ هل تخشى ضعفك اذا تركتكما لوحدكما؟ وهل ان وجودي سيحد من مشاعرك العاطفية؟» وضحكت بعصبية، بينما احست سارة بالالم يعصر قلبها. كلا، تريسي، لا تختلف كثيراً عن لورين والاختلاف الوحيد بينهما هو اسلوبهما في التعامل.

«اريد الذهاب الى غرفة النوم». فنهض جارود واقفاً:

«حسناً، سآخذك بنفسي».

«ظننت ان هامستيفز سيساعدني».

«تعالي معي». وسار جارود متقدماً اياها تاركاً تريسي لتشعل سيكارة اخرى. وتمنت سارة لو انها لم توافق على المجيء.

كانت غرفتها كبيرة، اصغر قليلاً من غرفتها في مالثورب الا انها مفروشة بفخامة. كانت السجادة بيضاءَ والجدران كذلك، بينما كان غطاء السرير ذو لونين اخضر وازرق. وكان الحمام الملحق بالغرفة واسعاً. يكفي ثلاثة اشخاص.

«ليس لدي خدم هنا. يقوم هاستهغز بتلبية طلباتي فقط، لذلك عليك اعداد حمامك وترتيب ملابسك بنفسك».

«سأدبر امري».

«بحق السماء تخلّي عن عصبيتك وخوفك. اذ انني مخلوق مسالم صدقيني».

«لم أتصور ابداً انك شيء آخر». أجابته بسرعة ثم استدارت في مكانها.

«كلا، غير ان رأيك بي لم يتحسن ابداً. لماذا؟ ما الذي فعلته عدا الدخول ببعض المجادلات معك؟».

«لا شيء، لا شيء. والان اريد الذهاب للنوم».

«صحيح؟ اذهبي الى النوم، سأعود فيما بعد. وستبقى تريسي هنا اذا ما احتجت لأي شيء».

ولم تستطع سارة مقاومة رغبتها في القول:

«وهل ستبقى يقظة في انتظارك؟».

ضاقت عيناه تساؤلا:

«ماذا تعنين بذلك؟».

«لا شيء».

«ما الذي تتوهمينه؟ أتظنين اننا ننام معاً؟». ثم اطلق ضحكة صاخبة قائلاً:

«سأخيب ظنك اذ انني أنام لوحدي احياناً».

سمحت سارة لنفسها بالنظر اليه عدة لحظات قبل ان تجيبه:

«يا له من امر مثير للدهشة!». وبدون انتظار جوابه الغاضب اختفت داخل الحمام مغلقة الباب وشاعرة بالرضى عن نفسها.

الا انها بقيت داخل الحمام فترة تكفي لتتأكد من مغادرته الغرفة بهدوء.

٧- لم أعد طفلة

لم تكن الرحلة الى جامايكا سيئة كما تصورت سارة. خاصة وأن جون ماثيوز كان احد الطف الرجال الذين التقت بهم في حياتها، وكان حضوره المسالم أفضل حل للحد من مشاحناتها مع جارود. ثم ان جارود نفسه كان مختلفاً. فمنذ لحظة مغادرة الطائرة لمطار هيثرو تغيّر سلوك جارود كلية، اذ بدا مهتماً ومنصرفاً تمام الانصراف الى اوراقه وملفاته ولم ينطق بشيء باستثناء بعض الملاحظات السريعة ابداها لمات. وقضوا ليلة السبت في نيويورك، حيث تناولت سارة وجبة العشاء مع مات بينما ذهب جارود للقائه الموعود مع تشارلز جفرسون. بعد العشاء، اخذ مات سارة في جولة سياحية، بواسطة التاكسي، حول مدينة نيويورك. الاّ انها لم تحب ناطحات السحاب وذهلت لازدحام المدينة وصخبها.

صبيحة يوم الأحد، توجهت مع مات الى المتنزه المركزي ثم تناولوا وجبة الغداء وتوجهوا بعدها الى المطار حيث استقلوا الطائرة الى مونتيغو ووصلوا هناك الساعة السابعة والنصف مساء.

تمتعت سارة برحلتها الاولى خارج بريطانيا. كما انها لم تخدم بمثل هذا الشكل من قبل، خدمة تقبلها جارود بلا مبالاة، ولم تثر اهتمام مات اطلاقاً مع ذلك قدرت سارة ما احاط بها من أبهة وجو فخم ورعاية فائقة في كل مكان حلّوا به.

كان المطار الدولي شبيهاً لبقية المطارات الدولية، مكيفاً بالهواء ولا شيء غيره، ولكن ما ان خطوا خارج المطار حتى ادركت سارة طول

المسافة التي تبعدها عن لندن. كان هواء الليلة نقياً ويعج باصوات غريبة لم تسمعها سارة من قبل. ولدهشتها الشديدة، لم يتوجهوا لاستلام حقائبهم فامسكت بذراع ماث وسألته:

«سنذهب الآن؟».

«لم ننه مرحلة الطيران بعد، اذ علينا الطيران الى كنغستون، بطريقة خاصة هذه المرة».

«ما الذي تعنيه؟».

وسمعت سارة دقات قلبها المتسارع، فعلق جارود متكاسلاً:

«انه يعني، انها طائرتي وسأكون انا الطيار».

«ماذا؟». وبدا عليها الرعب فتنهد جارود ضجراً.

«لم اخبرتها ذلك؟ كان في امكاننا دخول الطائرة اولاً ثم اخبارها بعد ذلك، لندع لها فرصة اظهار رعبها فيها بعد».

تصلبت سارة غضباً وقالت:

«كيف تجرؤ على مخاطبتي بمثل هذه الطريقة؟ انني بخير وفي نيتي البقاء هكذا ولا يهمني اطلاقاً من هو قائد الطائرة».

ضحك ماث قائلاً:

«انك رائعة. لا تهتمي بجارود اذ انه يمزح معك فقط».

وشكت سارة بما قاله ثم زادت شكوكها عند رؤيتها لطائرة جارود الصغيرة وعند مقارنتها لها بما تعرفه عن طائرات النقل.

ساعدها ماث على دخول الطائرة، فاكتشفت ان داخلها يماثل صالة صغيرة مزودة بالمقاعد الوثيرة ومنضدة صغيرة اضافة الى عدة رفوف صفت عليها الكتب. اما كابينة القيادة فكانت ذات مقعدين وتساءلت سارة في قرارة نفسها عما سيكون عليه الحال اذا ما جلست الى جانبه. طلب منها ماث الجلوس في احد المقاعد وربطت حزامها كما فعل هو ذلك. اما جارود فقد بدأ قيادة الطائرة بسهولة، ولم تشعر

سارة بسرعة الطائرة. فك ماث حزام مقعده ففعلت سارة الشيء نفسه. ولاحظت وجود حقائبهم مرتبة عند مؤخرة الطائرة فخاطبت سارة نفسها قائلة بان هذا شيء آخر يعتبره جارود وامثاله واحداً من حقوقهم الطبيعية في الحياة.

كانت سارة مسرورة جداً الآن. واختفى تعبها كله، ها هي موجودة في طائرة سريعة وفي طريقها لقضاء اسبوعين ممتعين في جامايكا ولا هم يشغل عقلها وما عليها غير الاسترخاء والتمتع بوقتها، وبدأت تحس بارتفاع معنوياتها. وصح ما توقعه جي كي عما تحدثه الرحلة فيها من تغيير.

ناولها ماث قدح عصير فواكه ثم ذهبت معه لالقاء نظرة على حجرة القيادة.

وحين التفت جارود رآها واقفة قال:

«كيف تشعرين الآن؟ دائخة؟».

«كلا، بل بدأت اشعر بالتحسن، عقلياً على الاقل».

نظر جارود الى ماث قائلا:

«انها صحبتك بالتأكيد، اذ ان رفقتي تحدث العكس دائماً».

احمر وجه سارة فقال بسرعة:

«تعالي واجلسي هنا. القي نظرة على لوح السيطرة». وبدأ يشرح لها تفاصيل ما موجود امامها من ازرار وعملها وكيفية التحكم بها.

ذهلت سارة لشرحه المبسط لها، ورغم انها لم تكن ذات ذهن يتقبل التفسيرات الآلية، الاّ انها فهمت كل ما قاله لها ووجدت نفسها مصغية باهتمام. وبدا لها من الرائع الطيران على ارتفاع آلاف الاقدام وتبادل الحديث بهذا الشكل كأنهما يتحدثان عن تطور الاحوال الجوية. وواصل جارود حديثه عن الاعاصير الجوية والدوامات فراقبته متمتعة بكل ما قاله لها. اذ انها لم تعلم ان في

امكانه الحديث عن شيء باستثناء عمله وما يدور في ارجاء مكتبه، وشعرت بالخجل لانها لم تحاول من قبل معرفته بشكل افضل. كانت تعرف مدى ذكائه ونجاحه في عالم الاعمال، الّا انها اكتشفت جانباً جديداً في شخصيته. ربما كان جي كي محقاً، ربما كان جارود شخصاً افضل كلّما ابتعد عن تأثيره.

وسرعان ما انتهت رحلتهم لتحط الطائرة في باليسادوس، مطار المنطقة الجنوبية من جامايكا. وفكرت سارة بانها لم تر من قبل السماء بهذه الزرقة المختلطة باحمرار الغروب.

وحطت الطائرة بهدوء فادركت سارة بأن شخصية جارود شخصية معقدة، اذ ها هو يتصرف ببرود وبلا مبالاة رغم مهارته كطيار محترف ومع ذلك لم يشر من قبل الى هذا الموضوع. ثم بدأت الاحساس بالقرب منه اكثر واكثر مما زاد من اضطراب مشاعرها وولعها به، الامر الذي اثار خوفها منه.

كان مطار باليسادوس بعيداً عن مدينة كنغستون، وبعد انتهاء اجراءات التفتيش والجمارك، اكتشفت سارة وجود سيارة في انتظارهم خارج المطار. الى جانبها وقف رجل اسود. اهتم بنقل الحقائب الى السيارة ثم رحب بجارود معبراً عن فرحه برؤيته مرة أخرى.

«ها هو ارستوتل، انه سائق ومساعد والحارس الخصوصي لأمي». علق جارود معرفاً الرجل بسارة.

«لا اظن والدتك بحاجة الى حارس شخصي».

ضحك مات قائلاً:

«لا تهتمي بما يقوله، يؤدي ارستوتل الكثير من المهام، الا انه ليس حارساً شخصياً بالتأكيد».

«لكن في امكانه ذلك اذا اراد». اجابه جارود متكاسلاً.

فابتسمت سارة اذ اعتادت الآن سلوك جارود الجديد معها.

تولى جارود قيادة السيارة بينما جلس ارستوتل الى جانبه واحتلت سارة مع مات المقعد الخلفي. وتحدثوا طوال الطريق عن السباحة، المناخ، وصيد السمك فادركت سارة بأن ارستوتل رافق جارود في كل تحركاته في جامايكا.

وبدأت الارض بالارتفاع بعيداً عن خط الساحل وانتابت سارة النشوة لوجودها في عالم جديد، عالم لم تعرف بوجوده وصممت على التمتع بكل لحظة وبأفضل طريقة ممكنة. وان تعيش للحظتها بدون تفكير بما سيجلبه الغد.

كان الهواء نقياً والروائح عطرة، روائح النباتات البرية. نظر مات اليها وتساءل.

«هل اثارك الجو؟».

«نعم، لم اكن كذلك حين غادرنا لندن».

التفت جارود ونظر اليها ثم قال:

«كما قلت من قبل يا مات، انها معجزة حضورك».

وسرت سارة لانه لم يستطع رؤية احمرار وجهها فقالت:

«كلا، انه ليس مات».

وتظاهر مات بالانزعاج قائلا:

«شكراً جزيلاً».

«ما عنيته هو اختلاف المكان والاحساس به، انه عالم مختلف تماماً».

«انها جاذبية الجزر».

«ربما...».

«أضيفي الى ذلك السحرة والسحر الاسود في الغابات المظلمة».

«لا تسخر مني. انت تعرف ما اعني».

«حسنا، اعتقد انني افهم ذلك. ارستوتل هل لدينا بعض المعدات الجاهزة لتعليم سارة الغوص؟».

ارتجفت سارة.

«الغوص تحت الماء؟».

«بالطبع، ستحبين ذلك.. أليس كذلك؟».

«نعم، ولكنني لا اعرف الغوص».

قال ارستوتل:

«لا تقلقي سيعلمك السيد جارود، هناك مكان معين نعرفه، مكان صالح للغوص».

ابتسم جارود فبانت اسنانه في الظلمة وقال:

«نعم ستتمتع سارة بذلك» ووافقته سارة الرأي في داخلها.

كان منزل والدة جارود يحمل اسم «فلامنكو لودج» ويقع على قمة مرتفع.

واحاطت به الاشجار والنباتات الجميلة ويبدا وكأنه مبني وسط الغابة. ثم بدت لهم الشرفة الفسيحة منارة باضواء تكشف عن جمال النباتات المتسلقة المحيطة بها.

واختلطت رائحة النباتات برائحة البحر القريب مما أضاف على الجو الليلي سحره الخاص. لم تكن بدلة سارة ملائمة للمكان. الآ ان الجو في نيويورك كان بارداً ورطباً، كما لم تفكر في تغيير ملابسها في الطائرة.

توقفت السيارة قرب باب المنزل ثم غادرها جارود ليساعد سارة على النزول. واذ لمس يدها احست بالحرارة تسري في اوصالها بشكل لم تتحمله فجذبت يدها بسرعة محاولة التخلص من ذلك الاحساس.

نزلت امرأة سلّم الشرفة لترحب بهم، امرأة طويلة القامة ذات

شعر جميل يحيط بوجهها الفتي. كانت تلك المرأة والدة جارود بالتأكيد، لا لان عمرها دل على ذلك، بل لطريقة مشيها وحركاتها المتعجرفة. نظرت الى ابنها بحب ومودة رغم انها لم تحطه بذراعيها او تقبله ويدا من الواضح انهما يفهمان مشاعر بعضهما بعمق.

قبل جارود خدها قائلا:

«اهلاً هيلين كيف حالك؟».

«بخير، وكيف صحة جي كي؟».

وظنت سارة ان سؤالها الاول عن زوجها اثبت لها خطأ رأي جي كي وتوهمه بأنها لا تهتم به.

طمأنها جارود عن صحة جي كي مضيفاً بأن حالة قلبه افضل من السابق، ثم عرفها بسارة قائلا:

«هذه هي سارة، اظن انك تعرفين كل شيء عنها».

تفحصت هيلين كايل سارة عن قرب ثم قالت:

«نعم، انك آخر مقتنيات جي كي، او ربما يجب ان اقول مقتنيات جارود». ثم نظرت الى ابنها باعياء، ولم تعرف سارة كيف تجيبها.

غير ان هيلين واصلت الحديث:

«انني مسرورة بلقائك وبقائك معنا يا سارة، خاصة وان مجيئك يعني بقاء ابني معي مدة اسبوعين» ثم امسكت بيد سارة وسألت:

«هل تمتعت برحلتك؟».

استرخت سارة قليلا واجابت:

«جداً، وخاصة المرحلة الاخيرة، أذ لم اكن اعلم ان السيد كايل ملاح طائرة ماهر».

«انك لا تدعين جارود السيد كايل طوال الوقت... اذ انني متأكدة انك تسمين جي كي الاسم ذاته.. اليس كذلك؟».

«نعم...». واحست سارة بالتوتر ينتابها من جديد.

تسلق جارود درجات السلم حيث ناول معطفه لخادمة واقفة في انتظارهم.

«تعالوا الآن، هيلين انني واثق بأن تسمية سارة لي ليست مهمة. بالنسبة الي على الاقل».

ثم دخل الصالة وتبعه ماث. فقالت هيلين:

«اعذريني لالحاحي عليك بهذا الشكل. والسبب هو احساسي ببعدي عما يحدث في انكلترا وعدم تفاصيل قدومك الى مالثورب».

«ما الذي تعنينه يا سيدة كايل».

هزت هيلين رأسها قائلة:

«ما علمته هو ان جارود وصيك. هل هذا صحيح؟».

هزت سارة رأسها موافقة.

«لكن جي كي اخذ على عاتقه المسؤولية، لماذا؟».

«لا بد انك تعرفين بان جي كي هو صديق جدي».

«نعم بالطبع. نسيت ذلك للحظات. خاصة وانني كلما تحدث الي جارود عنك اعتبرك مسؤوليته».

«هل تحدثت الى جارود عني؟».

«بالطبع. اذ ان هناك شيء يدعى الهاتف كما تعلمين... ولكن دعينا ندخل، اذ لا بد انني اسيء التصرف بابقائي اياك هنا. ولكن جارود عزيز جداً علي رغم انه لن يستمع الى اي من نصائحي».

عضت سارة على شفتيها وقالت:

«وهل تريدين نصحي الآن بدلاً منه؟».

«كلا، كلا... ليس الآن... ليس بعد ان التقيت بك، اذ ارى بانك لست طفلة وان مخاوفي كانت وهمية».

«اي مخاوف يا سيدة كايل؟».

«يبلغ جارود الخامسة والثلاثين من عمره، واريد انا وجي كي ان

نراه متزوجاً ومتمتعاً بحياته العائلية. وخشيت حين سمعت عنك بانك فتاة اكبر سناً واكثر تجربة، انك تفهمين ما اريد قوله، فتاة تحاول اعاقة زواج جارود مثلاً».

انتابت سارة الرغبة بالتقيؤ، رغبة تنتابها كلّما احست بالاضطراب.

«ليس هناك ما يدعوك للخوف يا سيدة كايل».

«كلا، كلا، اعرف ذلك» اجابت هيلين كايل ممسكة بذراع سارة لتساعدها على ارتقاء السلم «بل اظن اننا سنكون صديقتين، الامر الذي سيفرح جي كي كثيراً». وابتسمت للمرة الاولى منذ دخول جارود المنزل.

«يجب ان تفهمي يا سارة، انني لست قاسية بل كل ما اردته هو توضيح موقفي منذ البداية وبذلك تستطيع احدانا فهم الاخرى جيداً. الا توافقيني الرأي».

«نعم يا سيدة كايل، ستفهم احدانا الاخرى».

وتبخر فرحها بالمكان الجديد، بجمال المنزل والغابة. واذ دخلت الصالة حيث كان جارود وماث في انتظارهما لم تجد القدرة الكافية حتى للنظر حولها وللتمتع بابهة المكان. بدا عليها الشحوب وانتابتها رغبة ملحة بالبكاء.

الاّ انها اكتفت بتناول قدح عصير الفواكه من ماث، بينما واصل الثلاثة الحديث عن لندن والعائلة وحالة الجو المزعجة هناك.

لاحظت سارة عدة مرات، مراقبة جارود لها فتجنبت النظر اليه مباشرة مخافة ان تفضحها عيناها.

«تناولت عشائي منذ قليل، وفكرت بأنكم ستفضلون، بعد رحلتكم الطويلة، تناول العشاء في غرفكم. اعدت صوفي كل شيء وستجلبه لكم. ما الذي تفضلينه يا سارة؟».

«هل تعتبريني غير مهذبة اذا قلت بانني لا ارغب بتناول شيء؟ اذ لا اشعر بالجوع».

قطب جارود جبينه قائلا:

«لا بد انك جائعة، هل استطيع الذهاب الى غرفتي؟ اذ احس بالتعب».

نادت هيلين صوفي وقالت:

«ارجو ان تأخذي الآنسة روبنز الى غرفتها».

ثم نظرت الى سارة «اتمنى لك ليلة سعيدة يا سارة. سأراك في الصباح».

«شكراً».

وتمنت لهم سارة ليلة سعيدة ثم تبعت صوفي الى الصالة، ثم صعدتا عدة درجات قادتهما الى الطبقة الاولى، ثم سارتا الى الغرفة الاخيرة الواقعة عند نهاية الممر. فتحت الخادمة باب الغرفة فدخلت سارة غرفة نوم فخمة اخرى، ذات طراز شعبي اصيل والوان زاهية، الغرفة مزودة بحمام خاص، وحقائبها فتوجهت الى الحمام مباشرة حيث اغتسلت وارتدت قميص نومها الموضوع في الحقيبة الصغيرة. لم تفارق سارة طوال الوقت، رغبتها في البكاء الا انها قررت عدم الاستسلام والبكاء كالاطفال. اذ ستبلغ الثامنة عشر بعد عشرة ايام وقررت ان تتصرف كشابة متزنة، ثم لم انزعجت من كلمات السيدة كايل؟ ثم ما الذي قالته هيلين؟ كان ما قالته هو ان جارود سيتزوج قريباً وطلبت منها عدم التدخل في شؤونه الخاصة وخاصة ما يتعلق منها بمخطط زواجه.

دخلت سارة الفراش بعد ان اطفأت النور وتركت ضوء المنضدة الخافت كما هو لينير الغرفة. القت نظرة على الكتاب الذي جلبته معها من مالثورب، كان قصة مغامرات وحاولت القراءة الا انها لم

تستطع التركيز، تخلت اخيراً عن فكرة القراءة ونهضت لتفتح النافذة. واستطاعت حتى في الظلام الحالك، رؤية انوار بعض المنازل القريبة وشمت رائحة البحر. وايقنت ان ما يفرح الانسان اولاً وآخراً هو علاقته بالناس المحيطين به اكثر من المكان والظروف المحيطة به.

وعادت الى سريرها وتمنت لو امتلكت بعض السكائر اذ ارادت التدخين، اذ ربما سيساعدها على النوم. كانت متعبة وقلقة واصابها الارق فظلت مستيقظة فترة طويلة. فكرت بجي كي باقياً لوحده في مالثورب، وارتجفت وتمنت لو انها كانت هناك. وتذكرت كيف خدعت نفسها في الطائرة وظنت بانها ستتمتع بالرحلة. كانت سخيفة وحمقاء وعليها الآن قضاء اسبوعين كاملين في هذا المكان.. ألم تجرب من قبل حرارة الانتظار بعد وفاة جدها؟

سمعت صوتاً ما قرب بابها وطرقاً خفيفاً فظنت بانها صوفي فقالت:

«ادخلي». ولدهشتها، دخل جارود الغرفة واغلق الباب خلفه، ثم وقف متفحصاً اياها بعينيه الجريئتين. واحست سارة بالحرج لمظهرها حيث انها لم تكن ترتدي شيئاً عدا قميص نومها.

«ماذا تريد؟».

«لا تصرخي ما لم ترغبي ايقاظ كل من في المنزل.. ادخلي فراشك».

غطت سارة نفسها بغطاء خفيف وانكمشت في مكانها ساكنة. ثم همست:

«حسناً، ماذا حدث؟».

استقام جارود ثم سار نحو السرير ناظرا اليها:

«ما الذي قالته لك هيلين في الخارج؟».

«لا شيء لماذا؟».

تنهد جارود قائلا:

«ذلك ليس جواباً. اذ تعلمين جيداً انها اخبرتك بشيء ازعجك، واريد معرفة ما قالته. ما الذي غيرك من فتاة فرحة الى مكتئبة صامتة لا ترغب الآ بالهرب بعيداً عنا جميعاً».

«لم لا تسألها؟».

«انني اسألك انت».

«حسناً، لا استطيع اجابتك. والآن ارجو ان تغادر الغرفة وتتركني».

«لن اغادر الغرفة بدون معرفة الجواب».

«حسناً لن تحصل على الجواب مني، لم لا تذهب للنوم اذ لا بد انك متعب ايضاً».

«انني متعب فعلاً. ولكن كيف استطيع النوم وانا اعلم بانك قلقة الى حد المرض بسبب شيء قالته امي؟».

خفضت سارة عينيها وقالت:

«لست قلقة».

«صحيح؟».

ونظر اليها بحدة جعلتها ترتجف في مكانها فتحركت مبتعدة قليلا عنه، ثم قالت:

«آه، لم يحاول الجميع معرفة كل شيء عني؟ لم لا تتركني لوحدي... انني لا أسألكم شيئاً. ولا انتقدكم باستمرار... فلم تصرون على معاملتي كطفلة؟».

هز جارود كتفيه استهزاء وقال:

«ذلك لانك طفلة».

«هل انا كذلك؟ حقاً؟ هل هذا كل ما تراه فيّ؟ طفلة غبية؟».

«لم اقل غبية» قال باختصار.

«كلا، بل شيئاً من هذا القبيل. جارود، سأبلغ الثامنة عشر من عمري خلال عشرة ايام، اتعرف هذا؟».

التقت عيناه بعينيها. لم تكن نداً له الاّ انها ادركت مدى اهتمامه بها.

«ما الذي تريدين سماعه مني يا سارة؟ هل هذه لعبة جديدة؟ هل منحك نجاح مغامرتك مع شبان مالثورب الثقة لبدء مغامرة جديدة؟ يتوجب علي، اذن، تحذيرك، انها لعبة خطرة جداً».

«الا انك تمارسها».

«معك؟ كلا، يا عزيزتي، لن افعل ذلك ابداً».

«لماذا؟ هل اثير اشمئزازك الى هذا الحد؟» وكانت سارة مدركة عمق الهاوية التي كانت على وشك السقوط فيها.

«كلا، لا اشعر بالاشمئزاز منك» وكانت نظراته هادئة ولطيفة ولم تكن ساخرة كما توقعت سارة. الا انها لم ترغب فيه مهذباً وهادئاً في تلك اللحظة، كما لم ترغب في عطفه او شفقته.

«ارجو ان تترك الغرفة الآن». قالت ضاغطة بيدها على شفتيها.

«سارة، انني ابذل غاية جهدي للتصرف بهدوء معك، وافهم رغبتك في اغوائي، فلا تحاولي رجاء الضغط اكثر مما يجب».

«لماذا؟ لماذا؟ ما الذي ستفعله؟ ما الذي سيفعله جارود كايل، الرجل الوسيم الرائع؟».

لم تعد نظرات جارود دافئة مهذبة بل التمع فيهما الغضب فاحست بالاثارة تسري في جسدها بدلاً من الخوف وبطريقة لم تحس بها من قبل. وادركت انها ترغب في شيء واحد هو ان يلمسها وان تحس بيديه تداعبان وجهها.

ولكنه ولخيبة املها الشديد، نهض واقفاً، وبدون ان يفتح فمه

بكلمة توجه نحو الباب. فاستدارت سارة لئلا تسمح له برؤ ية خيبه املها، فسمعت صوت فتح الباب ثم أغلق بهدوء.

وكان الصمت المحيط بها ثقيلاً واستسلمت اخيراً لدموعها التي كبحتها طوال المساء، ورافق ذلك احساسها بالمهانة لسلوكها المخزي اذ حاولت جهدها اثارة جارود ودفعه للاقتراب منها، وكل ما حصلت عليه هو السماح له برؤ يتها كطفلة لا تتحكم في مشاعرها.

ما الذي سيظنه جي كي اذا ما اكتشف حقيقة مشاعرها وسلوكها؟ جي كي الذي ظن بأنها طفلة وبان جارود شخص لا مجال للثقة به؟ ثم ما الذي ستظنه هيلين؟ واخيراً احست سارة بأنها قضت على فرحتها في قضاء عطلة سعيدة وانها وقبل كل شيء آخر، فقدت احترامها لنفسها. وبكت فترة طويلة ثم دفنت وجهها تحت الاغطية محاولة اخفاء الحقيقة عن نفسها.

٨ـ أوامر من كل الجهات

استيقظت سارة صبيحة اليوم التالي شاعرة بالتعب والترقب. لم تستطع في البداية تذكر سبب ذلك ثم استعادت ما حدث في الليلة الماضية، واذ لم ترغب باستعادة التفاصيل نهضت من فراشها بسرعة وتوجهت الى النافذة.

كان المشهد رائعاً وكما توقعته، والمنزل محاطاً بما يشبه الغابة، ورأت بعض سقوف البيوت القريبة. كانت الاشجار والنباتات غريبة فتساءلت في قرارة نفسها عن اسمائها وطبيعتها. لمحت وجود حوض سباحة في الحديقة تحيط به اكاليل الزهور. اضافة الى الكراسي المتناثرة قربه والمظلات لتحمي من يرغب بالاستلقاء هناك من اشعة الشمس الحارة. كان المشهد جميلاً الى حد رفع معنوياتها، فنظرت الى الساعة لتعرف الوقت، كان الوقت مبكراً لم يتجاوز السابعة والنصف، الّا انها لم تستطع العودة الى سريرها.

القت نظرة سريعة على حقائبها فاختارت تنورة قصيرة مع فانيلا بيضاء بلا أكمام تتناسب معها. تحممت بالماء البارد بسرعة ثم مشطت شعرها وارتدت ملابسها ثم فتحت باب الغرفة بهدوء لتتجنب ايقاظ بقية النائمين.

تسللت عبر الممر ثم نزلت الدرجات الى الصالة، وتوقعت عدم وجود احد هناك، الا انها سمعت ضجة منبعثة من الزاوية البعيدة فخطت بهدوء محاولة استقصاء مصدر الصوت، عبرت الصالة الى غرفة الطعام ومنها الى الصالة حيث وجدت الطاولة معدة للافطار



وماث جالس يستمتع بقراءة جريدته الصباحية بعد ان انهى افطاره.

اقتربت منه سارة فرفع رأسه منتبهاً الى وجودها:

«اهلاً سارة، هل تودين تناول الافطار؟».

«نعم شكراً». اومأت برأسها ثم عادت لتلقي نظرة من النافذة فاطلقت صيحة اعجاب مفاجئة، حين رأت مياه البحر الكاريبي قريبة الى حد بدا وكأن المنزل مبني على البحر. كانت غرفتها واقعة على جانب البيت لذلك لم تر البحر من تلك الجهة. وابتسم ماث لحماسها.

«انه مكان رائع لتناول الافطار.. اليس كذلك؟» ثم طوى صحيفته متأملاً اياها.

«انه يبدو كمشهد مأخوذ من احد الافلام. كيف يتحمل جارود ترك هذا المكان والعودة الى بريطانيا؟».

ادركت سارة حالما تلفظت جملتها الاخيرة بانهما لم يكونا الوحيدين الموجودين في الغرفة، فاستدارت لتواجه هيلين كايل. وتذكرت ما اخبرت هيلين مساء اليوم الماضي عن مخاطبتها جارود باسم السيد كايل وها هي الآن تقول جارود كما لو انها فعلت ذلك طوال حياتها.

«صباح الخير يا سيدة كايل».

«صباح الخير، انك مبكرة في نهوضك».

«نعم اذ ان الجو جميل الى حد يأسف فيه الانسان على البقاء في الفراش».

ثم حاولت النظر مرة اخرى الى البحر لتستعيد اهتمامها.

جلست هيلين على الطاولة وحين جاء الخادم سألت سارة:

«ما الذي تودين تناوله يا سارة؟ لدينا الافطار الانكليزي التقليدي والخبز والزبدة، عصير الفواكه.. فما الذي تختارينه؟».

«سأتناول الخبز مع عصير الفواكه».

«هل سمعت ذلك يا ريموس؟».

«نعم..» انحنى ريموس ثم خرج من الغرفة لاعداد اللازم. عاد حاملا معه اناء القهوة والقشطة وتمنت سارة لو ان هيلين لم تكن موجودة، اذ تستطيع الاسترخاء والتلذذ بافطارها، مع ماث، حيث لا تحس معه بالاضطراب والخجل.

«ما هي خطتك اليوم يا ماث؟». سألت هيلين بصوت خافت.

«لا اعرف بالضبط. ذكر جارود شيئاً عن الذهاب باليخت، ما لم يغير رأيه».

تعجبت سارة لما سمعته فقالت:

«يخت؟ واين هو الآن؟».

«هناك في الخليج». رفع ماث ذراعه مشيراً الى نقطة محددة واستطاعت سارة رؤ ية يخت بعيد «انه يحمل اسم ساحرة البحر. هل تعرفين كيفية الابحار؟».

«حسناً، الابحار ليس شائعاً بين الناس امثالي». وضحكت فاحست بتخلصها من التوتر قليلاً.

قالت هيلين في محاولة للتودد الى سارة:

«يملك والد ماث حوضاً لصناعة السفن في نورفوك، اليس كذلك يا ماث؟».

اومأ ماث برأسه ايجاباً بينما قطبت سارة جبينها. اذ انها ظنت، طوال الوقت، ان ماث يشبهها من ناحية الحالة الاجتماعية، اما ان يكون والده مالكاً لحوض صناعة السفن فهذا امر آخر.

«وقد بنى ارنولد، والد ماث اليخت «ساحرة البحر». انه يخت جميل اليس كذلك؟».

اكتفت سارة بالقول نعم ثم لاحظت نظرات ماث اليها.

«ماذا حدث؟ هل دهشت لانني لست مثل جارود أمارس مهنة

والدي ذاتها؟».
هزت رأسها نفياً وقالت:
«اظن انني فكرت بك طوال الوقت باعتبارك. . .» ثم توقفت لتنظر الى هيلين واخيراً واصلت القول «مجرد مساعد لجارود».
بدا ان هيلين فهمت ما عنته سارة اسرع من مات فاجابت:
«ان مات يفضل عالم رجال الاعمال على حياة المصنع الهادئة. . . رغم ان ارنولد يتلقى الطلبات من مختلف ارجاء العالم. ثم ان لمساعدة جارود اهمية خاصة».
تنهدت سارة وقالت:
«نعم، اوافقك الرأي». ثم سألت هيلين فجأة:
«اين جارود الآن؟».
انهى مات قهوته فاجابها:
«غادر المكان مع ارستوتل منذ ساعة. اعتقد بانهما توجها الى الساحل اذ حملا قناني الاوكسجين معهما».
فتحت سارة عينيها دهشة اذ ظنت ان جارود لا يزال نائماً. واذ علمت بأنه مستيقظ وقد يعود في اي لحظة، انتابها الخوف من جديد. هل تستطيع مواجهته بعدما حدث الليلة الماضية؟
تألف افطار هيلين من القهوة والسكائر. كانت تدخن باستمرار ولعل هذا سبب نحافتها وارتدت ذلك الصباح سروالاً وقميصاً حريرياً مما يجعلها تبدو في عمر تريسي ميرك وقوامها.
وظنت سارة بأن هيلين ستفرح لاختيار جارود تريسي كزوجة له.
نظرت هيلين الى سارة وقالت:
«مات، ربما كان من الافضل اخذ سارة الى الساحل. . .» محاولة بذلك فرض ما تريده على كليهما.
«كلا. . . حقاً؟». بدأت سارة بالاعتراض الا انّ مات قال:

«نعم وسأكون مسروراً لذلك. افترض انك تريدين الاختلاء بجارود؟».

ابتسمت السيدة كايل.

«انك تفهمني تماماً يا ماث. بالطبع اريد قضاء بعض الوقت مع جارود لوحدنا، واين ستذهبان؟».

«بما ان جارود اخذ معه معدات الغطس، اعتقد من الافضل لو اخذت سارة الى نقطة العاج حيث الساحل هادىء ويظلله النخيل والماء ملائم للسباحة.

هل تسبحين؟». سأل سارة.

«نعم، ولكن ليس من الضروري ازعاج نفسك بمصاحبتي، اذ استطيع الاهتمام بنفسي، ثم ان حمام السباحة هنا يناسبني». ولم تدع هيلين كايل لماث فرصة الاجابة بل قاطعت سارة قائلة:

«لا تكوني حمقاء يا سارة، انا اصر على ان تتجولي في المكان الذي اقترحته لقضاء عطلتك. ثم سيأخذك الى كنغستون للغداء، لذلك رتبي نفسك لذلك ايضاً».

علمت سارة بان هيلين كانت تملي على ماث ما سيفعله وانفعلت لانها فهمت ان والدة جارود ارادت ابعادها عن المنزل، خاصة وانها فضلت البقاء في البيت بعد رحلة الامس الطويلة، كما ان حوض السباحة موجود، فلم ابعادها الى مكان آخر؟

الا ان ماث لم يتأثر بلهجة هيلين بل اكتفى بمخاطبة سارة بعد انهائها افطارها:

«اجلبي معك بدلة السباحة ونظاراتك فقد تحتاجينها».

نهضت سارة واقفة واطاعت ما طلبه ماث. قد تكون بوابة فلامنكو لودج مفتوحة الاّ انها افتقدت حريتها التي تمتعت بها في مالثورب، فانتابها الاحساس بالغربة والشوق لجي كي وقررت ان

تتصل به تلفونياً، ثم انه اخبرها من قبل ان في امكانها استخدام مصروفها لاي شيء ترغب فيه، الا انها لم تلمس مصروفها بعد، ثم في امكانها الاتصال به هاتفياً وان تطلب منه دفع الكلفة اذ انها متأكدة بانه لن يعترض. وارتاحت للفكرة اذ قربها ذلك من البيت والوطن حيث بدأت تعتبر مالثورب بيتها.

وضعت بدلة سباحتها ذات اللونين الازرق والاحمر في حقيبة صغيرة جلبتها معها، كما وضعت فيها مشطاً، قلم احمر شفاه ونظاراتها الشمسية، ثم القت نظرة سريعة على حقائبها، الا انها اجلت ترتيبها لحين عودتها.

كان ماث في انتظارها في الصالة، مرتدياً قميصاً ازرق وسروالاً أبيض، ويبدا طويل القامة جذاباً، ذا شعر اسود، فتساءلت سارة في قرارة نفسها عما يمنعها من التحمس لفكرة الذهاب معه.

قدمت هيلين لتتمنى لهما وقتاً طيباً وخمنت سارة بانها جاءت لتطمئن على مغادرتهم المكان، غير انها اسفت فيما بعد لاطلاقها احكاماً غير عادلة حول هيلين.

كانت سيارة الليموزين في انتظارهما وساعدها ماث على الجلوس في مقعدها، ثم عاد ليجلس في مقعده. وابتسم اذ ارتدت نظاراتها الشمسية:

«يا لي من محظوظ».

«لماذا؟».

واحتارت سارة لتعليقه.

«حسناً، ها انا هنا، مدفوع الاجرة لاصطحب واحدة من اجمل الفتيات للتنزه».

«مدفوع الاجرة؟».

«بالطبع، يصر جارود على دفع اجري كاملاً اثناء العطل».

استرخت سارة لهذا التوضيح:

«انك مهذب جداً. شكراً يا ماث لكن قد تكون مقيداً بي».

«لا تنطقي بالسخافات. صدقيني لو لم ارغب في صحبتك لما جئت سواء احبت هيلين ذلك ام لا».

«هل لاحظت دفعها اياك لمغادرة المكان؟».

«لا تستطيع هيلين التلاعب بي. اذ انني لست دمية، وقد تظن هي ذلك. هذا كل ما في الامر. يجب ان تتعلمي الاصغاء لهيلين والتظاهر بالاصغاء لنصائحها ثم فعل كل ما يحلو لك».

«هل هذا ما يفعله جارود؟».

«جارود، كلا... اذ ان جارود يتصرف وفق ما يريده هو. ولا تجرؤ هيلين على طلب شيء منه. وهذا ما حدث لها من قبل مع والده جي كي. الم يخبرك انهما لم يتفقا ابداً؟».

«نعم».

«ولا بد انك لاحظت ان جارود يشبه والده».

«نعم».

«ذلك اذن افضل جواب لسؤالك. الا ان هيلين ترغب ببقاء جارود قريباً منها قدر الامكان، فلا تستغربي اذا ما حاولت هيلين تخطيط حياتك وفق ما تهوى. ولكن، كما قلت لك، افعلي ما تريدين فعله. جارود سينصحك بالشيء ذاته».

شكّت سارة بصحة ذلك وتنهدت:

«انها مسألة معقدة. اتمنى لو انني لم احضر الى هنا».

نظر اليها ماث بدهشة:

«لماذا؟ لا تدعي هيلين تسيطر عليك».

وجاء تحذير ماث لها متأخراً، اذ احست بان هيلين قد قضت على فرصتها بالتمتع بعطلتها، اضافة الى سلوكها الغريب نحو جارود.

رغم تفكيرها السلبي وكآبتها، قضت سارة يوماً ممتعاً مع ماث. حيث توجها في الصباح الى الساحل وتمتعت سارة بالسباحة لاول مرة في ماء البحر الدافىء. ثم استلقيا على الرمل وتشمسا وبدا ان ماث تمتع بالنظر الى وجه وجسد سارة المستلقية الى جانبه ولم تجد سارة في ذلك حرجاً خلافاً لما يثيره فيها جارود عادة، ولعل سبب ذلك يعود الى اعتبارها ماث صديقاً بدلاً من تخيلها اشياء اخرى... هل تخيلت جارود حبيباً لها؟

قال ماث اثناء تناولهما الغداء في احد فنادق كنغستون الفخمة:

«اخبريني لم دهشت حين اخبرتك هيلين عن والدي وحوض صناعة السفن؟».

«ربما لاني فكرت بك كمستخدم لدى جارود. اعني شخصاً يعمل ليحصل على ما يكفي لمعيشته، بينما انت في الحقيقة نداً له».

«حين كنا طلاباً كنا في جامعة كامبريدج سوية وكان متحمساً للعمل في مجال الانسجة وتطوير المؤسسة فنقل حماسه الي فاصبحت مهتماً بذلك اكثر من صناعة السفن. كنت مهتماً بالتصميم، اذ اعتبرت نفسي فناناً الى حد ما وشجعني جارود. واذ انضم جارود الى مؤسسة والده عملت معه وحين اصبح رئيساً لمجلس الادارة بعد مرض والده عينني كمساعد شخصي له».

«الم يمانع والدك؟».

«كلا، اذ لدي ثلاثة اشقاء وشقيقتان، وكلهم مهووسون بصناعة السفن، لذلك لم يفتقدني احد».

«آه، وهل ترسم الآن؟ هل تصمم الاشياء كالسابق؟».

«احياناً، رغم انني افضل الرسم كهواية الآن. وغالباً ما اقضي وقتي ارسم المشهد الجميل الذي رأيته صباح اليوم في الشرفة».

بدا على سارة الاهتمام:

«هل لديك بعض اللوحات الآن؟ هل استطيع القاء نظرة عليها؟ اذ انني اهوى الرسم واود القاء نظرة على اعمالك».

«بالطبع سأريك محاولاتي».

وأخذها ماث عصراً في جولة حول المدينة حيث رأت قبر الادميرال بينبو ثم مقر حكومة الجزيرة واخيراً الميناء المزدحم والسوق الملحق به. وسحرت سارة بكثرة عربات البيع والوان الملابس والمعروضات الزاهية. ثم انتقلا الى سوق الفاكهة، المكان الذي لم تر سارة له مثيلاً من قبل.

كان الوقت مساء حين باشرا رحلة العودة الى فلامنغو لودج وانطوت سارة على نفسها. رغم انها كانت مرحة وطبيعية طوال اليوم.

«ما الذي يزعجك؟ انا موجود الى جانبك اذا ما اردت اي مساعدة».

نظرت سارة اليه بمودة:

«صحيح؟ انك تجعلني اشعر بالتحسن».

«بينما جعلتني اشعر بالتقدم في العمر».

«ولكنك لست متقدماً في العمر».

«انني في الرابعة والثلاثين، اي ضعف عمرك».

«نعم الآن ولكنني سابلغ الثامنة عشر بعد تسعة ايام».

«يجب ان نقيم حفلة بهذه المناسبة».

«كلا، رجاء لا تخبر السيدة كايل، اذ لا اريد اثارة اية ضجة».

«حسناً سارة، والآن استرخي. اذ لا شيء يستدعي عصبيتك».

كانت اضواء المنزل متألقة عن بعد ولم تفرح سارة لمرآها. بل احست بالخوف والترقب وزاد ذلك رؤيتها لجارود واقفاً عند السلم:

«اين كنتما؟».

فرد عليه ماث بهدوء:

«انت تعلم اين كنا. اذ لا بد ان هيلين اخبرتك اننا ذهبنا الى نقطة المرجان».

كان جارود مرتدياً سرواله الاسود وقميصاً غامق اللون وبدا جذاباً كعادته فتمنت سارة لو استطاعت تجنب تلك اللحظة.

«ذهبتما الى نقطة المرجان منذ عشر ساعات. وذهبت الى هناك بنفسي بعد فترة الغداء، ولم تكونا هناك».

«لم فعلت ذلك؟». سأل ماث بلا مبالاة ثم ساعد سارة على صعود السلم.

«ذهبنا الى كنغستون لتناول الغداء ثم قمنا بجولة حول المدينة». ثم نظر الى سارة «هيلين لم تتوقع عودتنا بسرعة».

قضم جارود نهاية سيكاره.

«لا يهمني ما تعرفه هيلين او لا تعرفه».

لم يتأثر ماث بل قال ببرود:

«اهدأ الآن. نحن هنا.. اليس كذلك؟ بخير وسلام. كما قضينا يوماً ممتعاً... اليس كذلك يا سارة؟».

اومأت سارة موافقة ولم تتجرأ على الحديث اذ رأت عيني جارود تتفحصانها وخاصة تنورتها القصيرة.

«حسناً، انها السابعة والنصف الآن. وسيقدم العشاء في الثامنة وقد دعت هيلين عائلة ماكي، اقترح عليكما الذهاب والاستعداد لذلك».

«حسناً جداً». قال ماث متعجباً لموقف جارود «تعالي يا سارة».

واسرعت سارة بالدخول مما دفع ماث للقول:

«لا تستعجلي ان جارود طيب ومجنون فامنحيه بعض الوقت

ليتخلص من غضبه».

«ولكن لماذا؟ اعني لماذا غضب؟».

«اعتقد انه يتصرف باعتباره وصياً عليك، واظن ان من حقه معرفة الاماكن التي تذهبين اليها، لانك فتاة جذابة ويخشى ان يخدعك الشباب. ربما يعتبر نفسه اباً لك».

«فهمت الآن، حسناً سأراك فيما بعد وشكراً لليوم الرائع».

اجابها ماث «شكراً لك» ثم دخل غرفته.

وجدت سارة ملابسها مكوية ولم يعد امامها غير الاغتسال وتغيير ملابسها فذهبت الى الحمام، لاعداد الماء ثم القت نظرة متأملة على باب الغرفة، حيث لاحظت وجود مفتاح في قفل الباب. بالتأكيد لم يكن المفتاح هناك من قبل. من وضعه هناك؟ ليس جارود اذ ليس هناك ما يدعوه لمعرفة رغبتها في اغلاق الباب في وجهه.

ولأن المفتاح كان موجوداً الآن، أقفلت سارة الباب قبل دخولها الحمام. عند خروجها تفحصت ملابسها حيث ارادت اختيار شيء جذاب ترتديه، شيء يكشف عن انوثتها وينفي صغر سنها. فاختارت فستاناً من الحرير الازرق، تبدأ تنورته من أسفل صدرها وتحت حافة غطتها لآليء. كان الفستان بلا اكمام وكشف عن لونها الخمري بتأثير تعرضها للشمس.

وصلت العائلة المدعوة عند نزول سارة السلم فوجدت الجميع يتحدثون في الصالة كان هناك ماث وجارود وهيلين وزوجين آخرين، فرانك ولورنا ماكي، ثم ابنتهما وابنهما مارك وفرجينا. عرفت هيلين سارة بالجميع، بينما ناولها جارود عصير تفاح وليمون مخلوط بكمية من الثلج.

«شكراً» قالت سارة ثم انطوت على نفسها متنهدة، كم هو بارد ومهذب هذه الليلة. هل كان يفكر بشيء معين؟ هل لاحظ

وجودها؟ هل اعجب بفستانها؟ او ربما كان وجودها جزء من ديكور المكان؟

كانت فرجيينا ماكي فتاة اخرى تنجذب الى جارود، ووجدت سارة الامر محتماً ما دامت هيلين صديقة مقربة من لورنا ماكي. اما مارك فكان شاباً شاحباً، أكبر سناً من سارة.. الا ان سارة لم تشجعه حين حاول التحدث اليها. فبعد مصاحباتها لماث وجارود بالطبع، وجدت مارك مملاً، ربما لأنها قضت طوال حياتها في صحبة رجال اكبر منها سناً.

تناولوا العشاء في غرفة الطعام الصغيرة وكانت الطاولة مغطاة بقماش ابيض من الدانتيلا. اكلت سارة قليلا رغم مظهر الطعام الشهي. ورغم ان جارود لم يتحدث معها، الا انها احست بمراقبته اياها، وعند انتهاء العشاء ارتاحت لفكرة الهرب من المكان كله واللجوء الى الشرفة. استخدمت هيلين ماث لفرش السجادة في الصالة استعداداً للرقص، اما فرجينا فقد انشغلت مع جارود في النظر الى بعض الاسطوانات والاشرطة. وسمعت سارة صوت الموسيقى... ايقاع رتيب لفرقة عزفت موسيقى الجزيرة المحلية وسمعت كذلك صوت الضحك في الداخل الا انها لم ترغب العودة والمشاركة.

وتمتعت بوقوفها لوحدها في الشرفة حيث تأملت المشهد الساحر وشمت عطر الليل الغريب.

ذهلت لسماع صوت خلفها اذ ظنت ان لا احد يعرف بمكانها. الا ان ظلها فضحها. وعرفت فوراً ان القادم كان جارود وراقبته اثناء تقدمه منها.

«حسناً؟ اظن انك وجدت صحبة ماث ممتعة؟».

«الا يحق لي ذلك؟».

«لا ادري، ما الذي فعله لك».

«ما الذي تعنيه بسؤالك؟ لم يفعل شيئاً اطلاقاً. سبحنا اولاً ثم استلقينا على الرمل وتوجهنا بعد ذلك الى كنغستون لتناول الغداء. ولم اكن اعلم بوجوب تقديم تقرير مفصل عن تحركاتي لك والا لأخذت معي دفتر ملاحظات اسجل فيه كل شيء».

«لا تستفزيني يا سارة اذ قررت تجاهل مشهد الاغراء الصغير الذي قمت به الليلة السابقة. الا انني لن اسمح لك بالتصرف بطريقة بلهاء. بحق السماء يا سارة الا تعرفين ان الرجال خطرون اذا ما اثيروا؟».

تنهدت سارة.

«أوه رجاء، دعنا لا نبدأ الحديث عن هذا مرة اخرى».

«حسناً. ليس في نيتي اثارة ذلك الموضوع مرة اخرى. ازيد ان تعرفي ان لا داعي لخوفك مني. آسف لانني وبلا عمد اثرت تحفظك معي. ولكنني قررت بأن السبب هو عدم معرفتنا الجيدة أحدنا الآخر، خاصة وانني وصيك. ولم اجد الفرصة سانحة حتى الآن لابداء بعض الاهتمام بك. وفي نيتي معالجة خطأي وسأبدأ ذلك غداً».

أحست سارة بتسارع دقات قلبها وقالت:

«ليس ذلك ضرورياً».

«نعم انه ضروري. سأبدأ غداً بتعليمك الغوص ثم التزلج على الماء. أعرف بانك ستتمتعين بذلك. هل توافقين؟».

«هل استطيع الاختيار؟».

فدمدم بغضب محذراً اياها «سارة!».

«حسناً، يا سيد كايل سأوافق على اقتراحك ولكن لا تتوقع مني الخضوع لرغباتك لارضائك فقط كما تفعل مع الأخريات».

كانت ملاحظتها غبية مما دفعه الى الاستدارة والابتعاد عنها ثم وقف عند مدخل الغرفة قائلا:

«اتوقع رؤيتك مستعدة في الساعة الثامنة والنصف صباحاً».

ويدون ان ينتظر جوابها، غادر المكان.

٩- رمل وبحر وأنت

رغم سوء ظن سارة المسبق بتحركات جارود، فانها اكتشفت في الأيام التالية، ان في امكانه ان يكون صديقاً رائعاً تمتعت بصحبته، رغم اعتراض والدته بوجوب بقائه معها فترة اطول، ثم زيارة عائلة ماكي الى ملعب الغولف، الا انه اصر على أخذ سارة معه اينما ذهب. رافقهم ماث احياناً الا ان جارود اشغله معظم الوقت بمهمات مختلفة، فانتهز الفرصة لقضاء معظم وقته مع سارة لوحدهما.

ومر الوقت سريعاً. علمها جارود بمساعدة ارستوتل كيف تغوص تحت الماء، ورغم عدم غوصها في مناطق عميقة الا انها استطاعت مشاهدة القليل من عجائب البحر. رأت صخوراً غريبة الاشكال وتعثرت بالسمك النجمي ثم لمست بيدها نعومة المرجان. لم يفارقها ارستوتل متصرفاً كحارس شخصي لها. ثم استقلوا في يوم آخر القارب الى خليج عميق ليعلمها التزحلق على الماء. واكتشفت سارة ان التزحلق على الماء اصعب بكثير من الغوص والسباحة تحته. وسقطت عدة مرات الى ان تخلت عن الفكرة عندما آلمتها ساقها.

طوال الوقت كانت سارة واعية لحضور جارود الى جانبها، حضوره بجسده القوي وجاذبيته التي غلفتها، وكانت واعية لنظراته المتفحصة عندما كان يشرح لها تفاصيل شيء ما، ولاحظت في

نظراته بريقاً غريباً يشبه الكراهية، ولم تعرف سبب ذلك، لعله احتقر سلوكها السابق معه. واذا صح ذلك لماذا يكلف نفسه مشقة تعليمها اياها، مانعاً اياها من التورط مع ماث او اي شخص آخر؟ اكتفت سارة بالتمتع بحاضرها وتناست اسئلتها المتلاحقة.

رغم كل التناقض، مر بعض الوقت حين بدا لها انه نسي من هو وجعلها تضحك بمرح وداعبها ثم استلقى الى جانبها على الرمل، متكلماً عن بلدان زارها واشياء تمتع بها. تمتعت سارة بتلك الاوقات وحفظتها في داخلها لتستعيدها في الايام المقبلة، ورضخت اخيراً لمشاعرها نحوه ولم تعد تنكر حبها له وتعلقها به.

اخذها ذات مساء الى سطح يخته «ساحرة البحر» مع ارستوتل. كان البحر مضطرباً فتعلقت سارة بالحاجز محاولة منع نفسها عن التقيؤ. الا انها تعودت ذلك بعد فترة قصيرة واذ استرخت اعصابها تخلصت في الوقت نفسه من رغبتها في التقيؤ، بدا على جارود السرور وتنبأ لها بأنها ستكون بحارة ممتازة.

اما في الامسيات، فكانت هيلين على استعداد دائم لمصاحبة جارود الى مكان ما او دعوة عائلة ماكي الى العشاء. رفض جارود احياناً الذهاب معها وبقي لقضاء امسيته مع ماث وسارة.

تمتع ماث بمراقبة جارود وانزعاجه لبقائه احياناً مع سارة لوحدهما، «يبدو ان وصيك مهتم جداً بواجباته هذه الايام. الا تعتقدين ذلك؟».

«لا ادري لم تقول هذا». دمدمت سارة شاعرة بالاحمرار يغطي وجهها.

«انك تعرفين جيداً ما اعنيه يا سارة. اذ لم يتركك جارود لوحدك منذ اليوم الاول. وقضى معظم وقته معك صباحاً ومساء. هل هذا اعتيادي؟».

«اوه لا ادري. هل يجب علينا مناقشة ذلك؟».

«نعم اظن ذلك. كنت اظن انني اعرف جارود جيداً اما الآن فادركت بانني لا اعرفه اطلاقاً».

«لماذا؟».

«لا تقولي بانك لم تلحظي تغيّره. حتى انه اهمل اغنياء المنطقة والصفقات التجارية التي يتصيدها عادة، ليهتم بك. اما هيلين فانها على وشك قضم اصابعها بعد ان انهت قضم اظافرها غضباً!».

لم تستطع سارة منع نفسها من الضحك:

«انك تبالغ».

«ربما. الاّ ان هذا لا يحجب حقيقة تمتعك بصحبته كاملة».

«ما الذي تعنيه؟».

«انسِ الموضوع الآن...».

هزت رأسها.

«كلا، انت بدأت الحديث وعليك ان توضح ما تعنيه».

«حسناً، اظن ان جارود مغرم بك».

وضعت سارة يديها على ركبتيها لمنع ارتجافهما:

«ماث، لا تنطق بالسخافات».

تنهد ماث قائلا:

«اعرف، اعرف. قد اكون سخيفاً... الاّ ان هذا ما تدل عليه المظاهر».

نهضت سارة عن كرسيها:

«انت مخطىء تماماً».

«لماذا، اخبريني لماذا!».

«اولا لان جارود لا ينظر الي كامرأة بل كطفلة او صبية او باعتباري ازعاجاً دائماً له».

«هل انت متأكدة؟».
عضت سارة شفتيها ودمدمت بمرارة:
«آه، نعم انا متأكدة».
هز ماث رأسه:
«آه، حسناً، ولكن احذري جارود يا سارة، اذ انني اعرف جارود منذ وقت طويل».
جلست سارة محاولة استعادة توازنها وطلبت من ماث انهاء الموضوع، فنظر اليها ماث قلقاً واومأ موافقاً.
كان نهار عيد ميلاد سارة صحواً ومشرقاً. واعتادت سارة الصباحات الرائعة.
حيث الهواء النقي والروائح الطيبة. كانت الساعة الثامنة والربع وادركت بانها متأخرة في النهوض. كان منهجها اليوم الذهاب للسباحة مع جارود وارستوتل ثم درس آخر في الغوص. لم يكن احد يعرف بانه كان عيد ميلادها ما عدا ماث والحت عليه الا يخبر احداً. لذلك بقيت خطة اليوم كأي يوم آخر.
دخلت صوفي الغرفة بينما كانت سارة ترتدي بنطالها الابيض وبلوزتها الصيفية الزرقاء. حملت صوفي صينية فيها القهوة وقدحاً من عصير الفواكه، اضافة الى الخبز الحار والزبدة وكومة صغيرة من الرسائل.
دهشت سارة اذ قالت صوفي:
«عيد ميلاد سعيد يا آنسة سارة».
«شكراً، هل السيد جارود وارستوتل في انتظاري؟».
«كلا، يا آنسة لا يزال السيد جارود في فراشه، اما ارستوتل فبعثته السيدة كايل للتسوق في كنغستون، ان السيد جارود مريض».
«مريض؟، ما الذي اصابه؟».

«لا ادري ربما مجرد صداع».

أومأت سارة وشكرتها، ثم القت نظرة على المظاريف، كان احدها بطاقة تهنئة بعيد ميلادها من جي كي، فاستعادت كل شوقها اليه ولبريطانيا وتذكرت بانها لم تتصل به تلفونياً وقررت محاولة ذلك اليوم.

اما بقية البطاقات فكانت من السيدة كايل، ماث، عائلة ماكي وجارود.

كانت بطاقة جارود بسيطة وكتب عليها باختصار «مع افضل التمنيات» جارود.

تنهدت سارة ورتبتها كلها على طاولة الزينة ووقفت متأملة اياها بفرح.

تناولت افطارها ثم حملت الصينية الى الطابق الارضي. كانت صوفي في الصالة، فناولتها الصينية. ثم دخلت الغرفة الصباحية حيث كان ماث يتناول افطاره في الشرفة كالعادة.

«عيد ميلاد سعيد. انك رائعة هذا الصباح».

«شكراً وشكراً لبطاقة التهنئة. الا انني طلبت منك عدم اخبار احد».

«انا؟ انني لم اخبر احداً. اظن ان وصيك قام بذلك».

«آه، ماذا حدث لجارود على اي حال؟».

«ربما يعاني من الصداع لبقائه متأخراً في الليلة الماضية والآن لأقل الحقيقة اصيب جارود بالبرد والسعال، الا انني اظن انه يتحسن وينهض قبل فترة الغداء. الا انه بدا في حالة سيئة حين رأيته منذ ساعة».

استرخت سارة ثم مضت لتلقي نظرة على المشهد الرائع:

«انه يوم جميل».

«انه لمن المؤسف قضاؤك يوم ميلادك في المنزل. ما رأيك بمصاحبتي الى كنفستون وتناول الغداء هناك؟ ثم نعود الى الساحل لقضاء ساعة تحت الشمس».

«اليس لديك عمل تود انجازه اليوم؟».

«بما ان سيدي مريض ولم يوجه الي اوامره حتى الآن، لذلك تجديني حراً كالهواء. ثم انك اصبحت امرأة اليوم ومن المؤسف تضييع فرصة الاحتفال بذلك».

دخلت هيلين كايل الغرفة بعد انتهاء مات من تناول افطاره:

«صباح الخير يا سارة وكل عام وانت بخير».

«شكراً جزيلاً».

«افترض انك تعلمين ان جارود مريض؟».

نظرت سارة الى مات ثم قالت:

«نعم، نعرف ذلك.. انه مصاب بالبرد اليس كذلك؟».

«برد حاد، اظن بانه ابتل حين قاد ساحرة البحر، وهو يتجاهل دائماً نصائحي بصدد المحافظة على صحته».

«ليس جارود انساناً يقلق لاصابته بالبرد. ولانه يقضي معظم وقته في قاعات الاجتماعات الخانقة فانه يحاول، بقدر الامكان، تعويض ذلك في اجازاته بقضاء معظم وقته في الهواء الطلق. انك لا تستطيعين لومه على ذلك، اليس كذلك؟».

هزت هيلين كتفيها ببرود:

«حسناً، في أي حال لا اظن انه سيكون قادراً على مصاحبتك اليوم يا سارة، رغم انه يوم عيد ميلادك. يا له من امر مؤسف».

ونظرت الى مات قائلة: «ما رأيك بمصاحبة سارة يا مات؟».

«اقترحت ذلك لتوي وسنذهب الى كنفستون اذا لم يكن لديك مانع».

بدا على هيلين الفرح:

«كلا، لا مانع لدي اطلاقاً. ويسرني ان سارة لن تجبر على قضاء يومها في المنزل لوحدها».

لم تنطق سارة بحرف بل اكتفت بمراقبة الحديث مدركة تماماً غرض هيلين ورغبتها في ابعادهما عن المنزل لقضاء الوقت مع ابنها العزيز.

«حسناً، تعالي يا سارة اجلبي ما تحتاجين. سنراك فيما بعد يا هيلين».

غير ان سارة لم تتمتع بيومها، ربما لانها تعودت صحبة جارود وتدليله لها فوجدت صحبة ماث مملة وغير مثيرة للاهتمام.

توجها عصراً الى عدة اماكن في المدينة ثم الى مكان هادىء قرب البحر.

فاستلقت على ظهرها مغمضة عينيها بينما جلس ماث الى جانبها مراقباً اياها.

«ما الذي ستفعلينه في المستقبل؟».

فتحت سارة عينيها، واضطربت لاقترابه منها:

«لا ادري، لماذا؟».

«لم تتح لي الفرصة ابداً لاريك لوحاتي، اذ شغل جارود وقتك كله».

«باستثناء اليوم وها انا اتمتع بوقتي تماماً...».

تدحرجت سارة بعيداً عنه ونظرت الى البحر.

«سارة لا تبتعدي. اريد التحدث اليك».

اعتدلت سارة في مكانها وقالت متعجبة:

«ماذا تقول؟».

«ما الخطأ في ذلك؟ انه عيد ميلادك اليس كذلك؟ واريد ان اجعل له نكهة خاصة».

«كيف بتقبيلك اياي؟ كيف تسمح لنفسك باقتراح ذلك؟».
«بحق السماء، توقفي يا سارة عن التكبر، ظننت بأننا اصدقاء».
«طبعاً نحن اصدقاء، الاّ اننا لسنا بحاجة للقبل. ثم نظرت الى ساعتها.
«انها الرابعة والنصف الآن، لنبدأ رحلة العودة».
مدّ ماث يده وناولها علبة صغيرة:
«هذه هدية لك».
تنهدت سارة:
«اوه ماث ما كان عليك شراء ذلك».
فتحت سارة العلبة الصغيرة لتجد فيها زوج اقراط ثمينة، تعجبت سارة لجمالها:
«آه، ماث!».
«هل تحبينها؟».
«بالطبع. لكنني اتمنى لو انك لم تبذر نقودك بهذه الطريقة».
«لا اظن انني اضعت نقودي تعالي لنذهب الآن».
بدا فلامنكو لودج مهجوراً حين عادا. اوقف ماث السيارة قائلاً:
«لا وجود لهيئة ترحيب بنا هذا رائع».
«اظن السيدة كايل في الداخل ولا بد ان جارود لا يزال مريضاً في غرفته».
«امر غير محتمل. خاصة اذا ما اكتشف بأننا خرجنا سوية».
«انه عيد ميلادي وسأحاول الاتصال هاتفياً بجي كي لاشكره على بطاقته ولاطمئن على صحته». صعدت الدرجات ثم توقفت:
«شكراً لمصاحبتك لي يا ماث».
صعد ماث السلم ووقف الى جانبها ثم لمس خدها بحب:
«انا الذي يجب ان يشكرك على هذا اليوم الرائع».

ابتسمت من تخوفها ومن تماديه في قول شيء آخر، حين فتحت باب المنزل وقف جارود هناك منحنياً على السياج:

«يا له من مشهد مؤثر».

«والآن جارود. . ». اعترض ماث الاّ ان جارود تجاهله.

«اين كنتما؟ اظن اني اعطيتك حساب لايتمر يوم امس. فهل انهيت العمل؟».

«جارود هل يجب ان نمر بهذا التحقيق كلّما خرجنا سوية؟ اليوم هو عيد ميلاد سارة، هل توقعت منها قضاء عيدها لوحدها؟».

«اعرف انه عيد ميلادها».

ثم استدار ليجد هيلين واقفة خلفه.

«آه، لقد عدتما. هل قضيتما وقتاً ممتعاً؟».

اجابها ماث بسخرية.

«عظيم. وكيف كان يومك؟».

قطبت هيلين جبينها:

«حسناً، كنت مشغولة كالعادة. خاصة وانني دعيت بعض الاصدقاء للعشاء احتفالاً بعيد ميلاد سارة».

سألها جارود بحدة:

«انس الفكرة. اذ لدي مخططي فيما يتعلق بهذا المساء».

«ماذا تعني يا جارود؟ اي خطط؟».

وضع جارود يده في جيبه:

«سآخذ سارة لتناول العشاء في الخارج، حاولت جهدك منذ مجيئنا اشغالي كل مساء بدعواتك. . . الا انني قررت، وبما انه عيد ميلاد سارة، الابتعاد عن البيت».

وبدا على هيلين الغضب الشديد:

«لست في حالة تسمح لك بالخروج. اذ ان حرارتك مرتفعة

والمفروض ان تكون في فراشك الآن».

هز جارود كتفيه غضباً وقال:

«عزيزتي هيلين، لا أسمح لأحد مهما كانت اهميته، بتوجيهي، لست صغيراً وكل ما في الامر انني اصبت بالبرد. لو كنت في انكلترا لما كنت لاحظت ذلك حتى، وكوني موجوداً هنا لا يعني خضوعي لاوامرك. ويجب ان تدركي ان هذا النوع من المعاملة لا يعجبني».

«وماذا عن سارة؟ هل فكرت بمشاعرها؟ ربما لا ترغب بمصاحبتك خاصة وانني دعوت العديد من الشبان للعشاء».

نظر جارود الى سارة متسائلاً:

«ما هو قرارك؟ هل تريدين المجيء معي، او البقاء لحضور الحفلة؟».

تدخل ماث الآن وقال:

«ليس من الصحيح سؤالها بهذه الطريقة يا جارود؟ وبما ان والدتك قضت وقتاً طويلاً...».

«اصمت يا ماث» كانت لهجة جارود باردة فهز ماث كتفيه ودخل المنزل.

ووقع عبء الاختيار وحسم الجدال عليها، ارادت سارة رفض دعوته والبقاء لحضور الحفلة الا انها لم تستطع غير الخضوع لاغراء قضاء الامسية معه لوحدهما.

«اريد الذهاب معك يا جارود».

بدت على وجه جارود هيئة المنتصر، بينما نظرت اليها هيلين باحتقار، وخاطبت جارود:

«حسناً، ولكن لا تلمني اذا اصبت بالتهاب الرئتين». ثم استدارت داخلة المنزل. تجاهلها جارود ونظر الى ساعته:

«انها السادسة الآن، ادخلي واستعدي اذ سنغادر خلال نصف

ساعة».

لم تجب سارة بل اكتفت باطاعته فدخلت المنزل متوجهة الى غرفتها، ولم تستطع انكار تلهفها للخروج معه رغم احساسها بانها لم تفعل شيئاً غير الخضوع لرغباته مرة اخرى، اختارت فستاناً من الشيفون الازرق بلا اكمام، ووضعت على كتفيها شالاً حريرياً.

حين وصلت الصالة وجدت جارود واقفاً في انتظارها، مرتدياً بدلة سهرة غامقة اللون، كان يدخن سيكارة وتفحصها اثناء نزولها السلم، وظهرت هيلين من ناحية المطبخ مرتدية معطفها المنزلي فخاطبت ابنها:

«ستذهب اذن».

«لا اقول عادة شيئاً لا اعنيه. وانت تعرفينني جيداً. تعالي يا سارة... سنراك فيما بعد يا هيلين».

سارت سارة امامه بينما احست بعيني هيلين تكادان تخرقان جسدها غضباً.

ساعدها على دخول سيارة السباق الخضراء المكشوفة ثم عاد الى مكانه خلف المقود. بعثرت الريح شعرهما الا ان سارة لم تهتم اذ احست بالسعادة تطغى عليها وكانت مصممة على اقناع نفسها بأي طريقة ممكنة.

لم يقل جارود الكثير طوال الطريق واكتفى بسؤالها عما اذا كانت بحاجة الى وشاح لشعرها. سلك اولا الطريق المؤدي الى كنغستون الا انه انحرف بالسيارة في طريق جانبي تغطي جانبيه اشجار الحور. وتساءلت سارة عن المكان الذي يتوجهان اليه، اذ انها لم تر هذه الطرق من قبل.

ثم انعطف مرة اخرى حتى وصلا بناية منخفضة تحيط بها الاضواء المشعة، وتدعى «بيدرو مارين». كان هناك العديد من السيارات

المصطفة في الخارج وساعدها جارود على النزول ثم قادها الى داخل البناية مروراً بمدخل مزين بالزهور. في الداخل، كانت هناك فرقة موسيقية تعزف الموسيقى المحلية. ووضعت المناضد حول بركة عميقة تعج بانواع اسماك البحر ومخلوقاته المختلفة. وانحنت سارة مذهولة لتنظر الى الوان الاسماك الغريبة.

ناولها جارود قدح عصير فواكه مثلجة فابتسمت له ووقفا يتفرجان سوية.

«والآن ماذا تختارين من طعام؟».

«ما الذي تعنيه؟».

«اعني اي نوع من السمك ترغبين في تناوله؟».

«لا ادري ما الذي تقترحه؟».

«ما رأيك بهذا النوع من السمك؟» واشار بيده اليه.

«حسناً».

«اظن بانك ستحبين هذا مع الأرز».

«هل توصي بتناوله؟».

«انني اوصي بكل شيء يعده بيدرو».

وتقدم منهما رجل بدين قصير القامة:

«اهلاً بيدرو، كيف حالك؟».

«اهلاً سنيور كايل. انني سعيد برؤ يتك مرة اخرى. لم اعلم بعودتك بمثل هذه السرعة». ثم نظر الى سارة فقال جارود معرفاً اياهما ببعض:

«سارة اقدم لك بيدرو ارمينلز مالك هذا المكان، بيدرو هذه سارة الموضوعة تحت وصايتي».

انحنى بيدرو بأدب ولم تبد عليه دهشة لتصريح جارود. ثم قادهما الى طاولتهما. ولاحظت سارة وجود بعض الراقصين قريباً من الفرقة

الموسيقية.

كانت وجبة الطعام لذيذة ومكونة من حساء خاص اوصاهما به بيدرو بنفسه ثم شريحة سمك مع الارز واخيراً حلوى التفاح. ثم شربا القهوة بعد ذلك. وتمتعت سارة بكل لحظة متناسية هيلين وما سينتج عن رفضها لاقتراحها بالبقاء معها.

حدثها جارود عن زلزال حدث في مدينة اسبانية والاضرار الناتجة عنه.

«كان الاسم الاصلي لجامايكا ريماكا».

«لم اعرف من قبل، وما معناه؟».

«المعنى الهندي هو ارض الخشب والماء واعتقد انه الاسم الافضل للمكان».

«اوافقك الرأي، اذ انني لم اشهد مكان مكتظاً بالاشجار ومتميزاً بوفرة المياه كهذا. حتى البحر اكثر زرقة والاشجار اكثر خضرة».

«اقترح عليك العمل في مكتب العلاقات العامة التابع لمكتبنا، اذ لو استطعت وصف انسجتنا بمثل هذه الحماسة لتمكنا من بيع اي شيء نرغب فيه».

« انني مسرورة لانك طلبت مني مصاحبتك».

«لماذا؟».

«لا داعي لحذرك معي، اذ اعدك بانني لن اتصرف بغباء.. كل ما اردت قوله هو انني متمتعة تماماً بصحبتك».

«حسناً» ثم وقع قائمة الحساب وقال «لنذهب الآن».

«اليس الوقت مبكراً؟».

«اعرف لنذهب».

احست سارة بخيبة الامل وتمنت لو انها لم تنطق بشيء. اذ ربما دفعته كلماتها للاسراع بالعودة الى فلامنكو لودج.

تبعته الى السيارة بلا حماس وجلست بدون ان تنظر اليه. لم الاصرار على العودة؟ انه يبدو بصحة جيدة ولم يزعجه السعال فما الداعي للعودة مبكرين؟

واذ بدأ قيادة السيارة بهدوء وسار بها مسافة قبل ان تلاحظ سارة اخيراً بانهما لم يسلكا طريق العودة الى البيت، بل توجها الى مكان في مستوى سطح البحر ثم اوقف السيارة في مكان جميل ينيره ضوء القمر.

ورأ ت سارة في الخليج يختاً ثم علمت بانه كان ساحرة البحر.

«لا تخافي ليس في نيتي اخذك للابحار. لنتمشى على الرمل، اذ الليلة رائعة، وسنتحدث قليلا».

«نتحدث عن ماذا؟».

تجاهلها جارود ونزل من السيارة فتبعته. خلعت حذاءها ومشت على الرمل الناعم. كان لاوراق النخيل حفيفها المسموع وصم صوت البحر اذنيها. كانت ليلة نموذجية وفكرت سارة بانه اجمل عيد ميلاد تمر به.

ركضت لتلمس الامواج وتبعها جارود واضعاً يديه في جيبه:

«والآن، لنتحدث».

«عن ماذا؟ هل يجب ان نخوض نقاشاً جدياً الآن؟».

«اظن انه الوقت الملائم للتفكير بمستقبلك جدياً. منذ ثلاثة اشهر ونصف جئت للعيش مع جي كي ورغم علمي بانه لا يرغب بفقدانك الا انك يجب ان تفكري بمستقبلك».

«بأي طريقة تعني؟».

«يجب ان تدركي انك بحاجة للعمل. جي كي لا يفهم لم تحتاج فتيات هذه الايام للعمل. لكنني اعلم بانك تفهمين ما اعنيه. لذلك ارغب بمناقشة الموضوع معك وليس معه».

ولم تقل سارة شيئاً فواصل حديثه:

«لا بد انك تعلمت الكثير في رحلتك هذه. رأيت اولاً جزءاً من العالم طالما حلمت به، ولا بد انه اثار فيك مشاعر مختلفة. وتعلمت ثانياً ان للحياة وجوهاً مختلفة».

اومأت سارة موافقة:

«صحيح ما تقوله اذ ان السفر يعلم الانسان الكثير».

«اخبرني ماث بانك تحبين الرسم وانك تودين العمل في ذلك المجال».

«هذا ما افكر فيه احياناً».

«استطيع منحك فرصة العمل في احدى مؤسسات النسيج».

«لكنها ليست مؤسستك اليست كذلك؟».

«كلا، ليست مؤسستي».

تنهدت سارة مرة اخرى اذ كلما ظنت انها قريبة منه تلفظ بشيء يفصل بينهما.

«حسناً، لا اريد مناقشة الموضوع الآن، كان علي حدس ذلك اذ ليس في ذهنك شيء غير العمل دائماً».

قسا وجه جارود:

«ما الذي تعنيه؟ الم اقض معك هذه الامسية؟».

«نعم، لكنني ادرك الآن هدفك الحقيقي. كان جي كي محقاً، اذ كل ما تفكر به هو العمل. انني اشفق على المرأة التي ستتزوجك اذ لا بد انها ستقع في حب آلة».

امسك جارود برسغها بعنف:

«حذرتك يا سارة، لا تحاولي قول اشياء لا تعرفين معناها».

حاولت سارة تحرير نفسها:

«انك تواصل قول هذا دائماً، لكنني افهم جيداً. اعرف ان لورين

ماكسويل، تريسي ميرك وفريجينيا ماكي غير مهمات بالنسبة اليك. اذ تحتاج المرأة من وقت لآخر فقط لارضاء رغباتك وليس لمشاركتك حياتك وحبك. وها انا ادرك كم كان والدك محقاً في رأيه باستثناء شيء واحد: ظن بانني سأتمتع بهذه الرحلة لكنني، اكرهها».

تركته منذهلاً وركضت. ركضت لتخفي دموعها حتى وصلت منطقة مشجرة وتعثرت بغصن مكسور فسقطت على الارض وتمزق جزء من فستانها، سمعته يركض وراءها ثم يقف الى جانبها. حدق في وجهها للحظات ثم انطرح الى جانبها غير مبال بالرطوبة والرمل وحاولت سارة الابتعاد عنه الا انه احكم ضمها اليه. ولم تحس سارة بشيء غير الرمل والبحر وجارود. غير انه ابتعد عنها فجأة، فنهض واقفاً مشمئزاً من سلوكه واندفاعه. اغلقت سارة عينيها لتتجنب رؤ ية العالم الخارجي ثم نهضت واقفة بدورها.

«لنعد الى البيت قبل ان افقد وعيي تماماً».

تعثرت وأرادت التحدث اليه:

«جارود. . .».

«لا تتحدثي معي. آسف لم حدث. اعرف ان اعتذاري لا يكفي لكنني لا اعرف طريقة اخرى للاعتذار وابداء اسفي».

تبعته ببطء ثم اندست في مقعد السيارة وقاد جارود السيارة متوجهاً الى فلامنغو لودج.

جلست سارة في زاويتها غير قادرة على استجماع افكارها المشتتة.

«آسف جداً، اذ قمت بذلك بدون تفكير».

«كان الخطأ، خطأي وانت تعلم ذلك».

«رغم ذلك كان علي التحكم بمشاعري اذ انني اكبر منك سناً. وخاصة بعد تحقيقي الطويل مع مات».

«اي تحقيق؟».

«قبل مغادرتنا المنزل الليلة، اذ انني لم اثق به». وضحك مواصلاً:

«اخبريني بانك لم تشجعيه في محاولته لمغازلتك، تمنيت لو انك اوقفتني عند حدي انا الآخر».

«لكنك لم تحاول مغازلتي..».

«كلا، انك محقة.. كان شيئاً مختلفاً تماماً».

«جارود، رجاء.. رجاء» ووضعت يديها على اذنيها لئلا تسمع شيئاً حتى وصلا المنزل.

كانت هيلين في انتظارهما في الشرفة، كان وجهها شاحباً واسرعت للقائهما فانكمشت سارة قلقاً.

«جارود مكالمة تلفونية من لندن.. عانى جي كي من نوبة قلبية اخرى».

لم يقل جارود شيئاً للحظة ثم سأل:

«ماذا قالوا، هل ما زال حياً؟». وبدا شاحباً.

تنهدت هيلين:

«اعتقد هذا. او كان حياً عند اجراء الاتصال.. اوه، جارود هل تعتقد بانه سيجتاز الازمة؟».

هز جارود رأسه:

«لا تسأليني اسئلة لا اعرف اجوبتها. هل أتصلت بالمطار؟».

«بالطبع. هناك طائرة تغادر مونتيغور عند منتصف الليل. وحجزت لاربعة اشخاص».

«اربعة؟ هل ستأتين معنا؟».

«بالطبع يجب ان اراه».

نظر جارود الى سارة المستندة الى السيارة بضعف والمرعوبة لما سمعت.

«هل سمعت؟».

«نعم..».

«اذهبي اذن واعدي ما تحتاجينه بسرعة اذ سنغادر خلال ربع ساعة».

اومأت برأسها مرة اخرى واسرعت الى غرفتها. وتذكرت كيف فكرت بجي كي طوال اليوم، اولا حين استلمت بطاقته وثانياً حين ارادت الاتصال هاتفياً به.

والآن، قد لا تستطيع رؤيته مرة اخرى.

واذ حزمت قليلاً من متاعها بلا مبالاة فكرت بانه في الوقت الذي كان جي كي فيه مريضاً كانت هي وجارود... وعضت شفتيها لتوقف ارتجافها. الم يحن الوقت لتتصرف بطريقة عقلانية؟ كل ما حدث لها كان خطأ. لا بد انه يحتقرها الآن، كم عذبته واستفزته، محاولة اغواءه وتحطيم سيطرته على نفسه.

وها هو الآن يواجه مأساة جديدة بدون ان يعثر على من يفهمه. كما لم تفهم جي كي من قبل. وكل ما قامت به هو تحطيم صداقتهما.

١٠ـ السحر الحزين

جلست سارة قرب النافذة الكبيرة المشرفة على حديقة مالثورب هول، محدقة بدون أن ترى شيئاً في الواقع. المطر وحده كان حقيقياً منهمراً بغزارة في الخارج. فكرت سارة بأنها نهاية ملائمة ليوم تعيس. اذ دفنوا عصر ذلك اليوم جي كي في المقبرة القريبة من البيت، وحيث دفن من قبله بقية افراد العائلة. ولم تبك خلال ذلك لانها لم تكن قادرة على البكاء.

منذ ليلة مغادرتهم جامايكا، تمّ كل شيء بسرعة رهيبة. خلال ثلاثة أيام والتي صارع فيها جي كي الموت، استدعى جارود أفضل الاخصائيين حيث بذلوا جهدهم لانقاذه، وجلست سارة ساعات طويلة قرب النافذة، هذا اذا لم تكن في المستشفى جالسة قرب سرير جي كي.

الاّ ان كل ذلك كان عبثاً. كان قلبه ضعيفاً ولم يتحمل نوبته الثانية وعجز الجميع عن مساعدته.

بكت هيلين وفجعت للصدمة، وأثارت عطف الآخرين. كانت مراسيم الدفن متناسبة مع أهمية جي كي وحضرها العديد من الشخصيات، جاء بعضهم من أوروبا ليعزوا بوفاة رجل أعمال احترموه وأحبوه.

وتحمل جارود عبء الترتيبات والاشراف على كل صغيرة وكبيرة. وراقبته سارة متحركاً بسرعة، مرتدياً بدلة سوداء ومستخدماً سيارة الرولز رويس في تنقلاته بدلاً من سيارة السباق، ذهلت للتغير

السريع في ملامحه وسلوكه، واسترجعت بحب اللحظات الجميلة التي جمعت بينهما في جامايكا.

ومنحتها عزلتها فرصة للتفكير، التفكير بمستقبلها واعداد الترتيبات اللازمة للاعتماد على نفسها وتخليص جارود من عبء مسؤوليتها. وكان الوضع مختلفاً مع جي كي اما الآن، بعد وفاته، كل ما ارادته هو عدم الضغط على جارود فترة أطول. ثم انه لا بد على وشك الزواج وتكوين عائلة ولم تكن مستعدة للبقاء ومشاهدة ذلك.

لذلك اتصلت بمؤسسة انسجة في بريدجستر، عمل جدها فيها عدّة سنوات، وعرضوا عليها العمل كمساعدة مصمم انسجة، عملاً رغم تواضعه سيزودها بالخبرة اللازمة لاختيار عمل افضل في المستقبل.

ورغم حبها لجارود، قررت ان الزمن كفيل بمساعدتها على النسيان وتخفيف الألم. فكرت بأنها قد لا تتزوج في المستقبل، اذ انها لن تنسى حبها لجارود ولكن فكرت بأن حبها للاطفال سبب وجيه لتكوين عائلة لها.

دخلت لورين ماكسويل الصالة مرتدية فستاناً اسود ضيقاً وبدت في مظهر جميل وراق. وبدا مظهر سارة بالمقارنة معها باهتاً ولا حرارة فيه.

بدا عليها الفرح لرؤية سارة هناك:

«حسناً انتهى كل شيء. انصرف المعزون كلهم عدا والدي ووالدتي».

«لا بد أنك مكتئبة».

«السنا جميعاً؟».

نظرت اليها لورين متفحصة:

«بعضنا يعاني اكثر من الآخرين».

«ماذا تعنين؟».

هزّت لورين كتفيها:

«عزيزتي، لا تكوني ساذجة اذ تعرفين جيداً ما اعنيه. خاصة وان جي كي كان ضماناً لك اليس كذلك».

حدقت سارة في وجهها رعباً:

«هل تتوهمين ان هذا سبب حزني الوحيد؟».

«اوه، ارجو ان تجنبيني مشاهد الخيبة والهيستيريا، اذ لا ألومك لما تحسين به. على الفتاة العاقلة التشبث بأول فرصة سانحة ولو كنت مكانك لقمت بالعمل ذاته. لسوء الحظ، جارود لا يخدع بسهولة».

نهضت سارة واقفة بغضب:

«كيف تجرؤين على مخاطبتي بهذا الشكل؟ ان اسباب مجيئي الى هذا البيت لم تكن مادية. فأنا لا أرغب بمال جي كي، ولم ارغب به من قبل».

اتخذت لورين وضعاً مريحاً واشعلت سيكارتها وقالت:

«لكنك لا تظنين ان جارود يصدق هذه الحكاية؟ من المؤسف ان حظك السعيد لم يستغرق وقتاً اطول لتستفيدي منه. اظن كان في امكانك جمع ثروة صغيرة لو اتيحت لك فرصة البقاء هنا مدة اطول».

«كيف تتكلمين بهذه الطريقة ولم تنقض اكثر من ساعة على دفن جي كي؟».

وتوقفت سارة لتضيف.

«ظننت بانك تحبينه؟».

«نعم، احببته، الا انني احببت نقوده اكثر... كم تبدين صادقة في مشاعرك يا سارة حتى اكاد اصدقك احياناً».

«رجاء، ما تقولينه فظيع، اصمتي رجاء... في كل حال سأغادر المنزل قريباً فاطمئني من هذه الناحية».

«عزيزتي، لا يقلقني بقاؤ ك اطلاقاً. من الواضح ان جارود يرغب بالاستقرار الآن. وبما انني المرشحة الافضل للزواج منه فاتوقع ان ادعى قريباً السيدة جارود كايل... اليس لهذا وقعاً عذباً؟».

«إن وقعه عذب فعلاً يا عزيزتي».

اجاب صوت آخر، واذ التفتت سارة دهشت لرؤ ية تريسي ميرك واقفة عند الباب.

«لورين، انك لم تضيعي وقتك ابداً، بل يبدو لي أنك بدأت بتقسيم المنزل منذ الآن».

نهضت لورين واقفة وواجهت غريمتها بغضب. نظرت سارة بيأس الى موقفها غير اللائق ثم غادرت الغرفة. لم تعلم سارة بوجود تريسي، خاصة وانها لم تلاحظ وجودها اثناء الدفن. لا بد ان جارود ارسل في طلبها فيما بعد.

توجهت سارة نحو السلم، حين ظهر جارود قائلاً:

«سارة نحن جميعاً في انتظارك. اذ سيقرأ السيد وينستانلي الوصية».

«الوصية؟ ولكن لا علاقة لي بالوصية».

«نعم، اذ يجب حضور كل المشمولين بها وانت واحدة منهم، احببت ذلك ام كرهته».

وبدون ان يسمح لها بالاعتراض جذبها الى غرفة المكتبة حيث كان السيد وينستانلي مع العديد من الخدم والدكتور لاندري.

وقفت سارة قرب الباب رافضة طلب جارود لها بالجلوس. لم ترغب بالبقاء اذ بدت لها عملية توزيع املاك جي كي بعد ساعات من دفنه امراً كريهاً. كان وجهها شاحباً وادركت ان جارود كان

يراقبها عن بعد. لم تكن هيلين موجودة فوضح السيد وينستانلي انها لم تستطع الحضور لشدة حزنها وستسمع ما يخصها فيها بعد.

ترك جي كي لكل الخدم مبلغاً من المال لخدماتهم المخلصة طوال السنين ثم غادروا الغرفة بعد ان قرأ المحامي ما يخصهم. ثم جاء دور الدكتور لاندري الذي ورث عشرة الآف جنيه كهدية وصندوق الشطرنج المصنوع من الحجر الكريم. وورث جارود بالطبع، كل عقار جي كي، حصته في مؤسسات كايل مالثورب هول. وكانت سارة الوريثة الاخيرة وتصلبت في مكانها حين نطق المحامي اسمها.

«ولسارة روبنز اترك مجموعة تحفي من الاحجار الكريمة، لوحاتي وتماثيلي لأنني اعرف بأنها ستحصل عند بيعها على ما يكفيها للعيش برخاء طوال حياتها».

ضغطت سارة بيدها على خدها الملتهب حرارة.

«كلا، كلا». ونظرت بيأس الى المحامي «لا استطيع.. لا استطيع.

لا استطيع قبول اي شيء الا تفهمون... لم يكن جي كي مديناً لي بشيء... لا شيء اطلاقاً».

تحرك جارود من مكانه وأجابها:

«ليس هناك ما ينص على اجبارك الدفع مستقبلاً. ما تركه لك هو منحة والمنحة لا تعني شيئاً آخر».

هزت رأسها رافضة:

«لا اريدها. لا اريد بيع مجموعة جي كي النادرة».

رفع جارود الوصية عن المكتب وقال:

«تبلغ قيمة المجموعة ما بين خمسين وستين الف جنيه. في امكانك بيعها لي».

حدقت سارة في وجهه:

«لك؟».

«بالطبع هذا ما اراده والدي. . . ».

واصلت سارة هز رأسها:

«تستطيع اخذ المجموعة كلها. لا اريد شيئاً منها، الا تفهم؟ لقد احببت جي كي الى حد لا ارغب فيه بلمس نقوده واتمنى لو كان معنا الآن». ثم تحشرج صوتها وبدأت البكاء بشكل لم تتوقعه.

فقال الطبيب لاندري:

«يا طفلتي العزيزة. . » اما المحامي فبدا مضطرباً.

نظرت سارة الى المحامي والطبيب ثم الى جارود واحست بقربهم جميعاً من نفسها وارادت ان تقول لهم بأنها ارادت شيئاً واحداً في هذه الغرفة، جارود، وهو لم يلحظ حتى وجودها.

فتحت الغرفة واندفعت خارجها متجاهلة نظرات تريسي ولورين في الصالة الكبيرة. صعدت درجات السلم راكضة وكأن الشيطان يلاحقها، ولم تتوقف عن النشيج، غير مدركة ان جارود كان يتبعها قلقاً ومهموماً بدون ان يلاحظ وجود الفتاتين في الصالة.

وركضت سارة الى غرفتها ودخلت بدون ان تغلق الباب متألمة وكئيبة وتمنت لو تتخلّص من آلامها في اسرع وقت.

دخل جارود الغرفة فقالت:

«اتركني لوحدي، ابتعد عني، اريد البقاء لوحدي».

حدق جارود في وجهها متألماً:

«انك مجنونة، بلهاء اتعرفين هذا؟».

ولدهشتها الشديدة جذبها نحوه وضمها بين ذراعيه:

«هذا ما اردته، اليس كذلك؟ لم تكوني تلعبين طوال الوقت. اذ رأيت الحب واضحاً في عينيك، اليس كذلك؟».

جذبها جارود لتجلس الى جانبه، على السرير وقال بهدوء:

«قبل ان تخدعك المظاهر اريد التأكيد بأنني احبك، ولكنك ستتزوجين رجلا يبلغ ضعف عمرك».
«هل تطلب مني الزواج منك؟».
«هل ستوافقين؟».
«نعم، نعم، نعم».
«لكن انت مجنونة لم اخترتني بالذات؟ بالنسبة الي الامر مختلف، اذ عشت حياة غنية وتمتعت بالكثير اما انت فلا تزالين يافعة وحياتك كلها ستتغيّر خاصة بعد ان توفر لك المال اللازم لاختيار ما تريدينه».
تنهدت سارة ثم ابتسمت:
«لم تنظر اليّ بعين التقدير منذ البداية».
«صحيح انني لم اقدر جي كي ونفسي احياناً الاّ انني علمت ومنذ البداية بأنك مصدر للمتاعب الكبيرة».
«لم تكن تحبني في تلك الايام..».
«كنت حذراً في سلوكي وموقفي منك.. الا انني احببتك من البداية... منذ رأيتك في منزل عائلة ماسون، ثم علمت بقرار جي، كي بجلبك الى البيت... فازداد خوفي، خاصة وأنني معقد من ناحية الزواج لأنني عانيت من انفصال والديّ منذ كنت طفلاً».
«عاملتني دائماً وكأنك تكرهني».
ابتسم للفكرة:
«حسناً، ربما كنت كذلك، الاّ انني غيّرت رأيي حين سقطت تلك الليلة في بركة الماء والوحل فوجدت نفسي مغرماً بك، هل تعرفين ما اعنيه حين أقول أريدك؟».
«اظن ذلك».
«يعني انني اريد امتلاكك، الاستحواذ على جسدك وعقلك وفصلك عن كل ما هو خارجي، تعودت دائماً الحصول على ما أريد،

وكرهت نفسي، لأنك صغيرة السن ولم استطع امتلاكك».

«لا اصدق هذا».

«نعم، لذلك ابتعدت رغم انني اردت رؤ يتك، ولم استطع تحمل رؤ يتك مريضة. ثم اتصلت بي هاتفياً وبدأت الحكاية من جديد. وحين رأيتك واقفة قرب غرفتك، جميلة وصغيرة ولم استطع لمسك... انني عجوز بالمقارنة مع عمرك».

«استمر اخبرني ما حدث».

«حسناً، ثم رتب جي كي الرحلة الى جامايكا، وعلمت بأنه كان مريضاً فحذرني الدكتور لاندري، الا انه الحّ عليّ لآخذك الى هناك فرضخت لطلبه».

«لم تكرهني في ذلك الوقت اذن؟».

«اكرهك؟. انك لا تعرفين ما عانيته ولو بقينا فترة اطول في جامايكا لاخبرتك الحقيقة».

«آه، لو كنت اعلم، اذ احببتك منذ البداية، منذ اللحظة الاولى التي رأيتك فيها».

عانقها جارود وقال:

«عزيزتي، يجب الا نبقى هنا فترة اطول، قبل ان نذهب اريد اخبارك بأن جي كي أراد هذا ان يحدث. لهذا السبب ترك مجموعته الثمينة لك عالماً بانك سترفضين اياها مما يقنعني بصدق عواطفك، كما منحك الفرصة للهرب ايضاً اذا اردت ذلك». ثم وقف واضعاً يديه في جيبي سرواله:

«ويجب ان امنحك الفرصة انا ايضاً».

«ما الذي تعنيه؟».

«يوم امس اتصلت بمعمل بريدجستر واخبروك بانك حصلت على العمل، اليس كذلك».

أومأت سارة موافقة:

«كيف عرفت ذلك».

«ارنولد رادكليف صديق لي وكان يعرف هويتك، ولكن لم يكن هذا سبب منحك العمل، غير انه مستعد لمنحك العمل ذاته في فرع الشركة في باريس، واعتقد ان هذا ما يجب عليك عمله».

حدّقت سارة بوجه جارود ببرود:

«جارود؟».

«لا تنظري الي بهذه الطريقة يا سارة».

هزت سارة رأسها:

«لكنك قلت بانك تحبني؟».

«اعرف. ولكن الا تذكرين حقيقة موقفي؟ انني رجل مهووس بما املكه وأنت صغيرة السن ولا تستحقين هذه المعادلة... ما كان عليّ طرح الموضوع عليك الآن».

«كلا، كلا، يا جارود».

احنى رأسه:

«انك تزيدين صعوبة الموقف علي».

ادركت سارة فجأة سرّ قوتها وقدرتها على السيطرة عليه.

فاقتربت منه وطالبته بعنف:

«كرر ما قلته اذن، اطلب مني الذهاب الى باريس».

تصلّب جارود في مكانه ثم أحاطها بذراعيه معانقاً فعلمت بأنها حققت ما ارادته.

«آه سارة، انك كما قلت من قبل... انك ساحرة».

«ساحرة البحر؟».

«كلا، ساحرة القمر».

اجابها، دافناً وجهه في شعرها الحريري.

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى	عذراء فى المدينة	آخر الأحلام
السر الدفين	الامواج تحترق	هل تخطىء الانامل
طال انتظاري	العروس الاسيرة	البحر الى الأبد
الوجه الآخر للذئب	رجل بلا قلب	الحصار الفضي
برج الرياح	سيدة القصر الجنوبى	الشبيه
الماضي لايعود	شهر عسل مر	الكذبة
لقاء الغرباء	عيناك بصري	الندم
وردة قايين	من أجل حفنة جنيهات	انت لي
عصفور فى اليد	رجل من نار	جراح باردة
الغيمة أصلها ماء	نداء الدم	طائر بلا جناح
الهوى يقرع مرتين	ليالي الفجر	عاطفة من ورق
خيط الرماد	ما أقصر الوقت	قطار فى الضباب
الصقر واليمامة	قلب فى المحيط	قل كلمة واحدة
حتى تموت الشفاه	المجهول الجميل	مندلا
أصابع القمر	الزواج الابيض	تعالى
وعاد فى المساء	أقدام فى الوحل	السعادة فى قفص
القرار الصعب	قال الزهر آه	هاربة
الفريسة	كيف أحيا معك	هذيان
أريد سجنك	غضب العاشق	أرياف العذاب
خطوات نحو اللهب	مزرعة الدموع	اللهب والفراشة
دمية وراء القضبان	الواحة	لا ترحلي

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لمن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعاً وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي